

اقرأ

كريم قلوب

الله فاروق

مطبعة المعارف ومكتبة دار

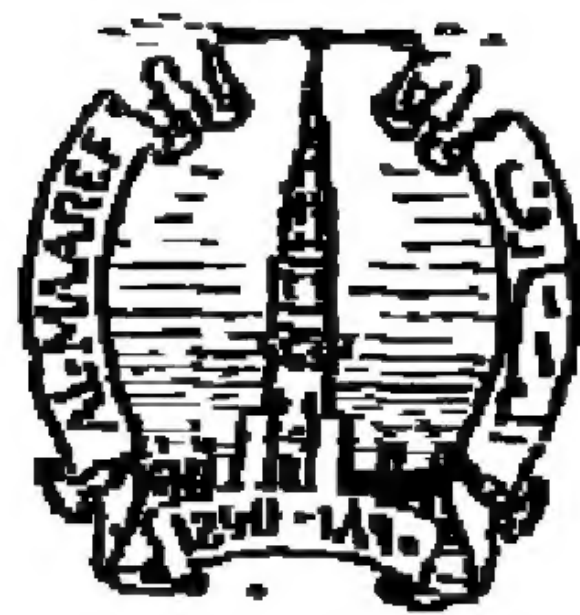
الله فاروق

كريم فائز

الملك فاروق

اقرأ * ٢٠

تصدرها مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر
بمعاونة الدكتور طه حسين بك وأنطون الجميل بك
وعباس محمد العقاد ونواد صروف



جميع الحقوق محفوظة
للمطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

الفصل الأول

كيف تشرفت بمعرفة جلالة

كنت أمضى الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ في فندق كتركت بأسوان ، وفي ذات يوم شعر نزلاء الفندق أن في جناح منه حركة غير اعتيادية فسألوا عن الباعث عليها فعلموا أن جلالة الملك المعظم وجلالة الملكة يصلان إلى أسوان بعد يومين في زيارة عادية وأنهما سيشرقان الفندق ويقمان به أياماً للراحة والاستجمام ثم يشرعان في رحلة صحراوية وقابل نزلاء الفندق جميعاً هذه المفاجأة السارة باغتباط عظيم ، ولم يعد لهم حديث إلا بها وبما تهيئه لهم من فرصة سعيدة نادرة لا يجتلاء طلعة صاحبي الجلالة عن كשב

ولم أكن قد تشرفت بعد بمقابلة مليكنا المحبوب فشاطرت جميع نزلاء الفندق اغتباطهم طبعاً ولكن في الوقت نفسه ساورني شيء من القلق . . .

كنت قلقاً لأتني صحافي !

فقد خشيت أن يتبادر إلى ذهن المليك أنتى جئت إلى
أسوان كصحافى بمناسبة تشريفه لها ، وأن طبيعة عملى الصحفى
تغلبت على ما يجب على من احترام لمشيئة جلالته فى أن تكون
رحلته رحلة عادية ، خالية من المظاهر الرسمية ، والقيود التقليدية
ولذلك تعدت ألا أظهر فى أرجاء الفندق إلا نادراً ، بل
إنه لما شرفه جلالته حظى برؤيته جميع نزلائه ما عداى ، فقد
آثرت الابتعاد والانزواء ولم أعلم بتشريف جلالته إلا متأخراً
وما كاد المقام يستقر بجلالته فى الفندق حتى سرى بين نزلائه
أن الملك لا يريد أن تكون إقامته بينهم سبباً فى تقييدهم بأى
قيد كان

أفهمهم أن جميع قاعات الفندق وأبهائه ستظل مفتوحة لهم
كالمعتاد ، وأن الجلوس على شرفة الفندق الكبيرة المطلة على النيل
والحديقة سيظل مباحاً لهم فى كل وقت ، فان الملك يود أن
يشعروا بأنه واحد منهم وأن تشريفه للفندق لم يغير شيئاً فى نظام
مقامهم به

حتى الأطفال كانوا أحراراً فى أن يسرحوا فى أرجاء الفندق
ويمرحوا

بل إنهم كانوا أول من التقى بهم الملك بعد وصوله إلى الفندق
بقليل ، فكان يستوقفهم ويداعبهم ويربت على أكتافهم وهم
يلعبون ولا يدرون أى شرف ينالون

وما كدت أغادر حجرتى فى ذلك اليوم حتى أقبل على بعض
خدم الفندق يقولون « مبروك » فقلت لهم « مبروك على إيه ؟ »
فأخبرونى عندئذ أن مولانا استوقف ابنتى ليلى وهى تعدو
فى بهو الفندق ولاعبها وسألها عن اسمها فلم تجاوبه وكان عمرها
يومئذ ستة عشر شهراً ولما تتكلم
فقلت فى نفسى الحمد لله على أنها لا تتكلم بعد وإلا افتضح
أمر وجودى

ومضيت فى سبيلى إلى شرفة الفندق وكانت مكتظة بنزلائه
فجلست فى ركن منها أتمتع مثلهم بجمال إقليم أسوان فى ذلك
الفصل من السنة

وبعد قليل حانت منى التفاتة إلى أحد الأبواب التى تؤدى
إلى الشرفة فامسحت الملك مقبلاً . . .

ترى ماذا يفعل نزلاء الفندق ؟ أيقفون أم يظلون جالسين ؟

وفي تلك اللحظة مرّ جلّالته ببعض منهم فنهضوا إجلالاً فأشار إليهم بأن يجلسوا وحيّاهم بعبارة رقيقة باسماء ، ولاحظ جلّالته أن آخرين يهيمون بالتهوض كذلك فأومأ إليهم بأن يظلّوا جلوساً ومن تلك اللحظة أخذت ديمقراطية جلّالته تتجلى بأجل مظاهرها ، وأدرك الناس أنه إذا كان الملك قد أعفاهم من القيود الرسمية فعليهم من ناحيتهم أن يتجنبوا كل ما من شأنه أن يذهب بزوق الاستجمام الذي ينشده

وبعد الغداء عاد جلّالته إلى الشرفة ودعا سعادة مراد محسن باشا ناظر الخاصة إلى الجلوس بالقرب منه ، وتبني للجالسين على الشرفة في تلك الساعة أن يشاهدوا كثيراً من عطف جلّالته على رجاله والقائمين على خدمته وأن يروا بأنفسهم المعاملة السمحة التي يلقونها منه ، فقد كان أحد ضباط الياوران واقفاً على بعد خطوات من مجلسه فدعاه وأمره بالجلوس معها وبعد قليل أمر الياور الآخر بأن يجلس معهم كذلك

وحجى إليه بالقهوة فأشار جلّالته إلى الخادم من طرف خفي بأن يجلب لهم قهوتهم فلما جلبها تطف وأذن لهم في شربها فاعتذروا وكانوا قد شربوها قبل تشريف جلّالته

وإذ لاحظ جلالته أن ناظر خاصته لا يدخن ناوله علبة سجائره فأخرج منها سعادته سيجارة ولما لم يشعلها ناوله جلالته «الولاة» ليشعلها بها

وبعد ما أمضى جلالته فترة من الوقت على شرفة الفندق صعد إلى الجناح الخاص به وعكف على مطالعة التقارير والأوراق المرسلة إليه من القاهرة كأنما استكثر على نفسه أن يتمتع بالراحة يوما كاملا

وقضى جلالته صباح اليوم التالى وقبل ظهره كله فى الاطلاع والبحث فلم يغادر الجناح الخاص به إلا بعد الغداء وكنت جالسا وقتئذ فى حجرة الكتابة فى الفندق أسجل ما رأيته أمس ، وبعد ما أنهزت الكتابة غادرت الحجرة متجها إلى مدخل الفندق لأسأل مديره عن أمر كنت أريد الاستفسار عنه وبينما كنت أجتاز البهو الكبير سمعت صوتا ينادىنى باسمى فالتفت إلى ناحية مصدره فأبصرت دولة حسين سرى باشا فكرر مناداتى فاتجهت إليه وأنا لا أصدق ما تراه عيناي . . .

فقد رأيت جلالة الملكة تحمل ابنتى ليلي على ذراعها وهى تداعبها وتلاعبها وقد وقف على مقربة منها حسين باشا وأحد

ضباط الياوران وإحدى السيدات الوصيفات
وابتدرني حسين باشا بقوله : « هل تعرف ابنة من هي هذه
الطفلة ؟ » فقلت : « إنها ابنتي يا أفندم »

فتفضلت جلالة الملكة وسألتني عن اسمها وعمرها ثم جلست
جلالتها وأخرجت قطعة نقود من ذات العشرة القروش
وأخذت تداعبها بها على مائدة صغيرة ، وفجأة رأيت ابنتي
تأخذ نظارة جلالة الملكة وتلعب بها فأردت أن أعطيها نظارتي
لعلها تقنع بها عوضاً عنها ، ولكن نظارة الملكة استوقفت
نظرها بلونها الأزرق فأبت أن تدعها فقلت من يدها ثم رمتها
على الأرض فقلت : « عفواً يا صاحبة الجلالة إنها لا تدرى
ما تفعل » . فقالت جلالتها باسمه : « اتركها . اتركها .
إن فوزية تفعل مثل ذلك تماماً »

فلم أجد ما أقول سوى الدعاء إلى الله أن يحفظ لمصر ملكها
وملكتها وأن يقر أعينهما بالأميرتين المحبوبتين فريال وفوزية
وفي تلك اللحظة أقبل جلالة الملك وكانت ابنتي لا تزال تلعب
بنظارة الملكة فاشترك مع جلالتها في مداعبتها ثم التفت إلي
وقال : « لقد كلمت ابنتك بالعربية فلم ترد علي فكلمتها بالانجليزية

فلم تجاوب فخرت الفرنسية فلم تجاوب أيضاً « فقلت : « إنها لا تتكلم بعد يا مولاي » فقال جلالته مازحاً : « ومتى تظن أنها تتكلم ... »

كل ذلك وجلالته مستمر في اللعب معها

ثم جاء أحد الياوران وقال لصاحبي الجلالة إن السيارات حضرت قهضا وتفضل الملك فأولاني شرف مصافحته وكانت هذه أول مرة أتشرف فيها بمقابلة جلالته فخرجت منها بشعور زادته الأيام رسوخاً ، وهو أنه ملك ذو قلب عظيم وأن الله حباه بتلك القوة التي تجتذب القلوب إليه : قوة أن يكون إنساناً قبل كل شيء ، وهي أعظم قوة يستطيع ملك أن يتمتع بها وكنت بعد ذلك كلما تشرفت بلقاء جلالته رأيت صوراً جديدة لتلك القوة الإنسانية فأحمد الله على أن ملكنا سما إلى ذروة الديمقراطية الصحيحة بروحه الفطرية ، و يقيني أن هذا هو شعور كل من أسعده الحظ بمعرفته عن قرب ، بل عندي أن عظمة الفاروق الحقيقية لا تتجلى بأجمل صورها إلا في المواقف غير الرسمية لأنك تدرك عندئذ أن سجاياه التي يتحدثون بها في المواقف الرسمية هي طبيعة فطر عليها ، فالاعتزاز بمصر والثقة بقواها

الكامنة والعطف على الشعب والبر بالطبقات العاملة والشفقة على الفقراء — كل ذلك لا يتكلفه الفاروق ولا يتصنعه ، بل إنك تلمسه فيه لماً كلما حظيت بمجلسه ، وفي كل حديث من أحاديثه ، وهو في الوقت عينه يبهرك بتواضعه وبساطة معاملته ، فتري كيف تكون عظمة التواضع ، وتري كيف تكون عظمة البساطة في المعاملة ، وعندئذ تؤمن بأنه المصري الأول بروحه وشعوره قبل أن يكون المصري الأول بلقبه وعرشه

وكان مساء ذلك اليوم ليلة رأس السنة الميلادية الجديدة
وكان القندق كله في عيد ، وقد زاده تشریف الملكین
بهجة وسروراً
وقبيل أن یأزف موعد العشاء أذيع أن صاحبی الجلالة
سیتعشیان مع نزلاء الفندق فی قاعة الأكل الكبرى فعمهم
البشر والابتهاج
واعتاد جلالتهما عند ما لا يتناولان الطعام فی الجناح الخاص
بهما أن يتناولاه فی قاعة الأكل مع سائر نزلاء الفندق
ولما انتهى العشاء انتقل نزلاء الفندق إلى قاعة الحفلات

حيث انضم إليهم كثيرون من غير النازلين بالفندق وقد جاءوا
ليقضوا فيه سهرة العيد آملين أن يحظوا بطلعة الملك
وبعد قليل أقبل الملكان يحف بهما جلال الملك ، فنهض الجميع
تحية واحتراماً ، وعزفت الموسيقى السلام الملكي ، ثم أخذوا مكانهما
في جانب من جوانب القاعة

ولم يشأ جلالة الملك أن يكون وجوده سبباً في تغيير شيء من
برنامج السهرة وتقاليد العيد ، فدعا إليه سعادة توفيق دوس باشا
بوصفه رئيساً لمجلس إدارة شركة فنادق أعلى الصعيد وأوعز إليه
بأن يذيع بين الحاضرين أن الملك يرغب إليهم في أن يتمتعوا
بحريتهم كاملة

ترى ماذا حدث عندئذ ؟

ما كادت الإشارة الملكية تسرى بين الحاضرين حتى أخذ
المصريون منهم يهتفون لجلالته و لجلالة الملكة بما يعرب عن
إخلاصهم وولائهم

كانوا يريدون أن يهتفوا من أول لحظة ولكنهم ترددوا ،
فقد لا تسمح التقاليد بالهتاف في ذلك المكان وفي ذلك المقام ،
ولكن ما كاد توفيق دوس باشا يقول للجميع لا تقيدوا حريتك

حتى انبعث الهتاف من كل جانب ، فكانت مظاهرة جميلة
تكررت مرة أخرى عند حلول رأس السنة الجديدة في منتصف
الليل ، فإن توفيق دوس باشا وقف في تلك الدقيقة ودعا إلى شرب
نخب صاحبي الجلالة ، فنهض الجميع إجلالاً وهتفوا لها هتافاً عالياً ،
وشرب صاحبها الجلالة النخب عصيراً من البرتقال

وقبيل أن تنتهى السهرة غادر الملكان القاعة فودعهما
الحاضرون من مصريين وأجانب وداعاً حافلاً ، ولم يكن لهم
بعد ذلك حديث سوى ما شاهدوه من ديمقراطيتهما

وفي اليوم التالى تعشى الملكان فى قاعة الأكل الكبرى كذلك ،
ثم اتجها بعد العشاء إلى البهو الكبير تحيط بهما الحاشية ، وكان
أحد جوانب البهو محجوزاً لهما ، ولكن الهواء نزع البطاقة التى كتب
عليها « محجوز » من المائدة التى وضعت عليها ، فلما رأيت ذلك
الجانب من البهو خالياً دعوت بعض الأصدقاء والمعارف من نزلاء
الفندق إلى الجلوس هناك دون أن ينتبه أحد منا إلى البطاقة
التي سقطت على الأرض ، وبعد قليل أقبل الملكان ومرّاً بالرواق
المحاذى للبهو ولما اقتربا من الركن الذى جلسنا فيه تمهلاً فى السير

فلما رأيا جميع مقاعده مشغولة واصلا سيرهما لكيلا يشعرانا بما
 يدبر منا ، ولكن حدث عندئذ شيء غريب فقد أدرك كل واحد
 منا في تلك اللحظة أن المكان لم يكن خالياً اتفاقاً بل كان
 محجوزاً للملكين ، وبدون أن نتشاور فيما يجدر بنا عمله نهضنا جميعاً
 وتسللنا الواحد تلو الآخر ، فخرج بعضنا إلى الشرفة وانتقل البعض
 الآخر إلى الجهة للمقابلة من البهو . . . حدث ذلك كله في دقيقة
 واحدة ومن غير أن نتبادل كلمة واحدة كأن هامساً همساً في
 آذاننا جميعاً أن نقوم

و بينما كنا واقفين على الشرفة جاءنا أحد ضباط الياوران وقال :
 إن مولانا أمرني بأن أدعوكم إلى العودة إلى المكان الذي كنتم
 جالسين فيه

فقال أخذنا على الفور : ولكننا لا نريد إزعاج مولانا ولذلك
 يحسن أن نبقى هنا

فقال : إن مولانا نفسه هو الذي أمر بذلك
 فرجعنا جميعاً من حيث كنا ، وأدينا للملكين واجب الاجلال
 والتحية ، فأشار إلينا بجلالته بأن نجلس فجلسنا ، وفي أثناء
 السهرة حانت من صاحبي الجلالة التفاتة كريمة وأنا أسأل سعادة

مراد محسن باشا : هل نسعد بسماع حديث عن الأميرتين
فريال وفوزية ؟

وهنا ابتسمت جلالة الملكة وقالت : ماذا يقول ؟
فبعثني هذا العطف على تكرار ما كنت أقوله لمراد باشا
وبعد قليل أخذت جلالتهما تتحدث عن الأميرتين المحبوبيتين،
فكانت أمّا تتحدث عن كرميتها
وكانت جلالتهما كلما استرسلت في الحديث ازددنا شعوراً بجمال
الأمومة وقد تمثلت فيها بأنبل صورها وأصدق معانيها
كان حديث جلالتهما مثلاً سامياً رفيعاً لكل أم ، نقول مثلاً
لأن الأم يجب أن تكون أمّاً قبل كل شيء ، ولو كانت ملكة !
قالت جلالتهما : إن فريال تظهر استعداداً عظيماً لتعلم اللغات ،
وهي تتكلم الآن العربية والانجليزية والفرنسية وتميز بعضها من
بعض فقد حرصنا على أن لا تتغلب لغة منها على أخرى فإذا
خاطبتها بالعربية أجابت بالعربية وإذا كلناها بلغة أجنبية
ردت علينا بها

وهنا قال جلالة الملك : وسنبذل عناية خاصة بأن تتقن فريال
وفوزية اللغة العربية على الوجه اللائق بلغة البلاد

ولم يقل جلالة أكثر من ذلك ولكنها كانت عبارة سامية
المعنى وجديرة بأن تصل إلى بيوت كثيرة !

وقالت جلالتها : وتحب فريال الأطفال حباً عظيماً وهي شديدة
الحنو على شقيقتها فوزية وتظن أنها أكبر منها كثيراً فإذا أنبتها
على شيء قالت لى : إنها لا تزال طفلة يا ماما ...

وقال جلالة الملك : إن البنات بركة ... وأنا لا أزال شاباً ،
وعندما تكبران أريد أن تشعرأ أنني أخ كبير لهما لا والد فقط ...
والد أحياناً وأخ كبير أحياناً أخرى ...

فكانت هذه العبارة على إيجازها درساً جليلاً في التربية
خليقاً بأن يستوعبه كل والد له أولاد ويريد لهم نشأة صحيحة
ومضت جلالة الملكة في حديثها فقست علينا كيف بدأت
الأميرة فريال تدرك المقام السامى الذى لجلالة والدها فإذا تكلمت
عنه مع أحد قالت « مولانا » (بضم الميم وتسكين الواو) لأنها
تسمع كل من فى القصر يقول « مولانا » فتريد أن تقول مثلهم
وتلاحظ سموها الرعاية التى تحيط بها جلالة والدها الوصيفات
فإذا أقبلت وصيفة منهن قالت لها سموها بعد التحية : اتفضل
ياست هانم

وهنا ابتسم جلالة الملك وقال : إن الملكة تمضى وقتها كله مع
فريال وفوزية

فقلت جلالتها : ليس فى الحياة الدنيا زينة أجمل من التوافر
على العناية بالأطفال

فى تلك الساعة كدنا ننسى أننا فى حضرة الملكين فقد كان
الوالد هو الذى يتكلم لا الملك ، وكانت الأم هى التى تتحدث
لا الملكة

ولما رجعت إلى حجرتى فى آخر السهرة خشيت أن أنسى
ما دار فيها فعكفت على تدوينه وقد استهللت الكتابة بقولى : لقد
أتيت لى فى حياتى الصحافية مناسبات تاريخية متعددة ولكن
المناسبة التى هياتها الليلة ديمقراطية صاحبي الجلالة الملك والملكة
ستظل غرة تلك المناسبات

وفى اليوم التالى نزل جلالة الملك إلى شرفة الفندق متقلداً
بندقيته ثم لم ألبث أن رأيته يصوبها نحو مركب شراعى فى النيل
ويطلقها فلم أتبين فى بدء الأمر هدفه ثم علمت أنه جعل الهدف
قطعة صغيرة من الصفيح مثبتة فى أعلى سارية المركب فأصابها

جلالته غير مرة بما ينم على مهارة عظيمة في الرماية . وقد أتيح لي فيما بعد أن أشاهد هذه المهارة في مباراة دولية للرماية سيجيء الحديث عنها فيما بعد

ولما فرغ جلالته من تمرينه قلت له : لم أكن أدري يا مولاي أنكم تجيدون الرماية هذه الإجابة

فابتسم جلالته وقال : وما قيمة الرجل الذي لا يحمل بندقية . . .

وكنت أعلم شيئاً كثيراً عن ولع جلالته بالسلاح ، وعن شغفه بفك القنابل ، وتحليل موادها ، والإحاطة بالأجزاء التي تتألف منها ، وإعادة تركيبها ، وذلك في المعمل الخاص الذي أنشأه في قصره ليردد عليه في أوقات فراغه ، فقلت لجلالته إنها هواية لا تخلو من مخاطرة ، فابتسم مرة أخرى وقال : ما من أحد يموت قبل يومه ! . . .

الفصل الثانى

رحلات جلالة الصحراوية
وما تفيده البلاد منها

وفى الغد خرج جلالة الملك إلى رحلته الصحراوية
ولم تكن هذه أول رحلة لجلالته فى الصحراء فقد تعددت
فى سنة ١٩٤١ زيارته للواحات ، وفى سنة ١٩٤٢ رحل لجلالته
غير رحلة واحدة إلى صحارى مصر الشرقية
وقد لا يرى بعضهم فى هذه الزيارات والرحلات سوى
مظهرها وهو حب جلالته للرياضة وشغفه بالصيد ، ولكن الذين
ينعمون النظر فى نتائجها ويحيطون بأخبارها من الذين يتشرفون
بمرافقته فيها يرون ما هو أسمى من ذلك بمراحل ، فان جلالته
بزيارته لتلك المناطق النائية يريد أن يعرف مملكته معرفة
شخصية ، منطقة منطقة وإقليمًا إقليمًا ، ويريد فوق ذلك أن يقضى
على رأى القائل أن هناك مناطق قريبة ومناطق بعيدة فيشعر
سكان الجهات المنعزلة عن الحواضر أنهم يلقون من عنايته

بأحوالهم واهتمامه بشؤونهم ما يبعث ولاية الأمور على الاقتداء به
بعد ما ظلت تلك الجهات زماناً طويلاً معدودة كمنفى أو شبه
منفى للموظفين المغضوب عليهم

وكان الحكام السابقون إذا أرادوا زيارة واحة كواحة «سيوه»
مثلاً قامت الحكومة لذلك وقعدت ، وأعدت من المعدات
ما لا يحصره بيان ، واتخذ رجال الإدارة من التدابير ما يمكنون
على تهيئته أسابيع برمتها ، فاذا الملك فاروق يقلب تلك الأوضاع
كلها رأساً على عقب فيرحل رحلاته الصحراوية في أبسط مظهر ،
ولما لاحظ أن السكان يصرون على تزيين منازلهم وأكواخهم
وقراهم مع تنبيهه الشديد على ولاية الأمور بأن لا يقيموا زينات ما
أخذ يفاجئهم بزياراته مفاجأة ليوفر عليهم كل تكليف مهما
يكن ضئيلاً

ولم يكن لجلالته وقد ورث عن المغفور له والده العظيم حب
الكشف العلمى أن مجرد هذه الرحلات من الأغراض العلمية ،
ففى كل مكان ينزله يأمر بجمع نماذج من الماء الذى يجرى فيه ،
ومن كل شىء يستوقف نظره فى الزراعات ، وفى طبقات
الأرض ، حتى إذا عاد إلى القاهرة أمر بارسالها إلى الجهات الفنية

لتدريسها ، وتبدي آراءها الفنية فيها ، وتوافيه بتقارير عنها .
ثم إن جلالته بهذه الزيارات المستمرة لأرجاء المملكة غير
المطروقة يحث المصريين على الاهتمام بمعرفة بلادهم أكثر مما
يعرفونها ، فتكثر زياراتهم لتلك الأرجاء ، فتزداد الصلات بين
سكانها وسكان الحواضر ، ويزداد اهتمام الحكومة بشؤونها
ومراقبتها وهو ما توخاه الملك فؤاد من زياراته لمصرى مطروح
وسيوه والسلام في سنة ١٩٢٨ فلما زارها دولة اسماعيل صدق باشا
وهو رئيس للحكومة بعد ذلك بثلاث سنوات أو أربع ، وكنت
أصحبه في تلك الزيارة ، لم أسمع في كل مكان سوى أن الملك فؤاداً
هو الذى أوصى بعمل كيت ، أو أن الملك فؤاداً هو الذى أوعز
بصنع كيت ، وكان جلالته قد سبق كل رئيس حكومة في تاريخ
مصر الحديث إلى زيارة تلك النواحي النائية

ومن فوائد هذه الرحلات وأغراضها أنها ستقضى مع الوقت على
وهم قديم تسلط على السواد الأعظم من الموظفين فأصبحوا ينظرون
بعدم الرضى إلى كل مهمة يكلفونها بعيداً عن الحواضر فإذا قيل
لأحدهم إنه سيذهب إلى سيوه أو إلى مصرى مطروح أو إلى
الواحات أو إلى الصحراء الشرقية عد ذهابه إليها ثغياً له — فهذا

الوهم سيبدده جلالة الملك مع الأيام فيسدى إلى البلاد خدمة من أجل الخدمات . سيبدده لأنه في كل رحلة من رحلاته يلقي علينا طائفة من الدروس الصامته ولكنها دروس عملية فتجىء أبلغ من كل كلام ، ومن هذه الدروس أن لا فرق بين قريب وبعيد وأن المناطق النائية والبقاع المنعزلة يجب أن تكون موضوع تفكيرنا واهتمامنا على الدوام ما دامت تؤلف جزءاً من المملكة ومن هذه الدروس أن الملك يسعى إلى تلك المناطق والأرجاء بنفسه غير مكترث للمشاق والصعاب بل الماثور عن جلالته أنه يسلك في رحلاته الصحراوية أوعر المسالك وأصعب الدروب ، وقد أتيح لي أن ألقى نظرة على الخارطات التي سارت القافلة الملكية على هديها في الرحلة الثانية إلى الصحراء الشرقية فإذا بها قد سلكت في بعض الجهات طرقاً لم يسلكها ملك قبل الآن بل لم تطأها قدم مصرى قبل الآن ، وما حدث في هذه الرحلة حدث في غيرها

ومن هذه الدروس أنه إذا كان ملك البلاد يذهب إلى تلك المناطق والأرجاء ويتحمل في هذا السبيل ما يتحمل ويقطع ١١٠٠ كيلومتر في سبعة أيام كما فعل في الرحلة التي أشرت إليها في الفقرة المتقدمة

فليس لأحد بعد ذلك أن يشكو ، أو يتذمر ، إذا طلب إليه
الذهاب إلى منطقة منها

وحدث مرة في إحدى رحلات المليك الصحراوية أن ضلت
القافلة الطريق ولاحظ جلالته أمارات الاضطراب على وجوه
العربان الذين يصحبونها لتسترشد بنخبرتهم ، وبينما هو كذلك قيل
له إن البنزين نفذ وإن بعض الخزانات التي ظنوا أنها مملوءة
بنزيناً ملئت بترولاً خطأ ، وكان ماء الشرب قد نفذ كذلك أو
كاد ولم يكن مع القافلة لاسلكي تتصل بواسطته بمن
يستطيع إنقاذها

ولم يلبث الاضطراب أن ساور الجميع بما عداه ، فقد ظل
جلالته محتفظاً بهدوئه ورباطة جأشه ومسيطرأ على أعصابه
كعاداته في كل موقف خطير ، وبعدما شجعهم وأمرهم بما يتعين
عليهم عمله قال لهم لا فائدة ترجى من أن تبقوا جميعاً مجتمعين
في بقعة واحدة ، بل من الأفضل أن تنتشروا شعباً للبحث عن
الماء ريثما يفطن الناس إلى تأخرنا ويخطر لهم أن يبحثوا عنا ،
فأطاعوا أمره ، ومرت ثلاثة أيام بقيظها قبل أن يهتدوا إلى الماء ،

وكان الظماً قد أخذ منهم مأخذه ، ويؤكد جلالته أنه لو طلع عليهم اليوم الرابع بدون شرب لما كان الذين خفوا إلى نجدتهم قد وجدوهم على قيد الحياة

وإذا روى جلالته هذا الحادث رواه كأنه يتحدث عن نزهة عادية وكان تعليقه الوحيد عليه : « إن هذا الحادث علمنا أن نأخذ معنا في كل رحلة صفائح إضافية من البنزين والماء وأن نجلبها في مكان لا يهتدى إليه أحد بحيث لا تمتد إليها يد إلا عند الضرورة القصوى ، وكذلك صرنا لا نخرج في رحلة صحراوية طويلة بدون أن نأخذ معنا آلة اللاسلكي »

وجلالته هو الذي يشرف على إعداد جميع معدات هذه الرحلات ، فلا تشتغل المصالح الحكومية بها ، وذلك حرصاً منه على أن تظل بعيدة عن كل صبغة رسمية استيفاء للأغراض التي يتوخاها منها

وهو الذي يدرس خططها ويعين مراحلها وهو الذي يجعل من نفسه قدوة للآخرين في التقشف والترحيب بما تنطوى عليه حياة الصحراء من شظف العيش وهو الذي يحمل نفسه ، راضياً مغتبطاً ، ما ينوء به سائر

أعضاء القافلة من ارتياد مناطق وعرة إلى تسلق جبال مرتفعة إلى زيارة مناجم والطواف بمصانع ، على نحو ما حدث في خلال الرحلة الشاقة التي رحلها جلالته في شهر يناير سنة ١٩٤٢ في الصحراء الشرقية وعلى شاطئ البحر الأحمر

وكل ذلك في سبيل الدرس والاستطلاع فيفيد بلاده بمشاهداته وملاحظاته

وكان في استطاعة جلالته أن يجوب معظم تلك الأرجاء بطريق البحر فيستريح ، ولكنه لم يفكر في راحته بل فكر في مشاهدة أقصى ما يمكنه مشاهدته ، وفي جمع أغزر ما يتسنى له جمعه من المعلومات ، وفي اكتساب أعظم مقدار من الخبرة يسعه اكتسابه ، فوجد أن السفر بالسيارات يحقق غرضه في هذا كله أكثر من السفر بحراً ، فجعلها رحلات بالسيارات غير مبال بمشاقها وغير مكترث لتقلبات الجو وكانت كثيرة فكان بذلك قدوة لشباننا في غير ناحية واحدة

ومتى ذكر الباحث ما سيكون للصناعة من شأن في حياة مصر المقبلة وما لذلك من علاقة بالثروة المعدنية العظيمة التي يحويها جوف الأرض في المناطق التي جابها جلالته في غير رحلة

واحدة من رحلاته أدرك ما سيكون لمشاهدات جلالته وملاحظاته
من نتائج هامة على مر الأيام ولا سيما أن من أعز أمانيه أن تصبح
مصر بلاداً صناعية بقدر ما هي بلاد زراعية

ولا يقنع جلالته في أثناء طوافه بما يلمحه عن بعد أو بما
يصل إلى مسمعه عن طريق الأحاديث والتقارير، بل هو دائماً
حريص على مشاهدة كل شيء بنفسه والإحاطة بكل شيء يسمعه،
ولذلك فإن الفنيين الذين يتشرفون ببقائه يدهشون لمعلوماته الفنية
وقوة ذاكرته وسداد ملاحظته وعنايته العظيمة باستيعاب كل
ما يقع عليه نظره

وتراه بعد هذا كله إذا أصيبت سيارته بعطب وهي في وسط
الصحراء بادر إلى إصلاحها بنفسه غير متأفف من ذلك ولا متذمر،
فقد أولع بالميكانيكا منذ صغره، وهو بلار يب من أمهر الميكانيكيين،
وهو إلى جنب ذلك صانع مقتدر بيديه وقد صنع بهما أشياء
كثيرة يفخر بها وهي تضة حتماً في مصاف الصناعات الكفاء،
وليس في استعالي لكلمة «صانع» ما يضير جلالته فإنه يعتز بما
تصنعه يده في أوقات الفراغ للتسلية، وقد سمعته مرة يقول :

« لو لم أكن ملكاً لكنت صانعاً بارعاً بما أستطيع صنعه

بيدى »



وقد أنشأ جلالتة فى المزارع الملكية فى أنشاص متحفاً يحفظ فيه النادر من الحيوانات والطيور التى اصطادها فى خلال رحلاته بعد تحنيطها

وفى بعض أرجاء هذا المتحف خزانات من الزجاج تحتوى على نماذج من جميع المعادن التى عثر عليها جلالتة فى تلك الرحلات وعلى نماذج أخرى من جميع طبقات الأرض التى استوقفت أنظار جلالتة فى الواحات والصحارى ، وتؤلف جميع هذه النماذج متحفاً نفيساً للمشتغلين بالعلم وهى دليل ماضى ناطق على ما تفيد به البلاد علمياً من رحلات الملك فى صحارى مصر وواحاتها

ومما هو جدير بالذكر هنا أن هذا المتحف ينمو باطراد ، وقد نسق تنسيقاً جميلاً بإشراف جلالة الملك نفسه وهو يزوره من وقت إلى آخر ليتفقد ما يضاف إليه من تحف جديدة ، وإذا زار زائر أنشاص بدعوة من جلالتة فإن هذا المتحف يكون حتماً

في مقدمة ما يدعى إلى مشاهدته ، ولا ريب في أنه سيكون
 لمحتوياته شأن كبير في المستقبل القريب
 ويأبى جلالته أن يذكر اسمه في هذا المتحف كأن يقال مثلاً
 إنه هو الذى اصطاد هذا الطير أو ذاك الحيوان فيكتفون بتثبيت
 تاج صغير على اللوحة التى ينقش عليها اسم الطير أو الحيوان
 وتاريخ اصطياده ومكانه ، أما الطيور والحيوانات التى لم يضطدها
 جلالته فلا يوضع هذا التاج على لوحاتها

ولا يخرج جلالته في رحلة من هذه الرحلات بدون أن يكون
 مصحفه في جيبه وهو المصحف الذى لا يفارقه أبداً
 وحدث مرة أن نسيه جلالته في القصر فلما فطن إلى ذلك
 أرسل رسولا بسيارة خاصة ليأتيه به
 وعند جلالته مجموعة نفيسة من المصاحف وهو يستعين على
 درس خطوطها ونقوشها بنخبير خاص له عنده منزلة رفيعة
 ولجلالته في قصر القبة مكتبة خاصة تشغل عدة حجرات
 وتملاً رفوف كل حجرة من الأرض إلى السقف ، وهى غير
 مكتبة عابدين الرسمية ، وقد أنشأ جلالته بجوار هذه المكتبة

الخاصة بحجرة خاصة بحفظ مجموعته النفيسة من المصاحف احتراماً لها ، وقد بنيت هذه الحجرة على الطراز العربي وحليت قبتها وجدرانها بالآيات القرآنية والنقوش العربية فجاءت آية في الجمال والفن ، وسمع جلالته بعضهم يقول مرة إن الناس لا يعرفون شيئاً عن هذه الحجرة وعن عنايته بمصاحفه فقال : « وهل يعلن المؤمن عن إيمانه ؟ » فأفهمهم



وفي جميع تلك الرحلات يقود جلالة الملك سيارته بنفسه ، وليست قيادتها في دروب الصحارى الوعرة بالأمر الهين المريح ، ولكن جلالته يجد لذة كبيرة في هذا الضرب من الرياضة ولا سيما أنه سائق ماهر ، بل إنه يجيء في الظليعة بين أمهر السائقين ، وكان لا يزال في السابعة من عمره لما بدأ يقود سيارته الخاصة

وقد اتفقت آراء الخبراء بشؤون السيارات على أنه لولا مهارة جلالته الفائقة في قيادة السيارات وما يبدية من رباطة الجأش وضبط النفس في المواقف الدقيقة الخطيرة لما انتهى حادث اصطدام سيارته في « القصاصين » بسلام ، ولكن جلالته

استطاع بمهارته وسرعة خاطره أن يتفادى الخطر الأكبر بالنتيجة
التي خرج بها وهي أقل نتيجة كان يمكن أن يسفر عنها الاصطدام
الشديد الذي حدث .

وكانت أول عبارة قالها الملك المؤمن عند مبادرتهم إلى نقله
من مكان الحادث : « عفوك يا رب »

ولما زار جلالته بورسعيد^(١) رسمياً انتهت الزيارة برحلة باليخت
الملكي « المحروسة » من بورسعيد إلى الإسماعيلية ومن هناك
ركب جلالته القطار « الديزل » إلى القاهرة
وللذين لا ينظرون إلا المظهر الأمور بدت هذه الرحلة البحرية
كأنها نزهة أراد الملك أن يتمتع بها ترويحاً للنفس بعد عناء
الزيارة الرسمية

غير أن الذين تشرفوا بمرافقة جلالته في اليخت الملكي رأوا
أنه إذا كان هناك رجل واحد لم يتمتع براحة ما في أثناء هذه
النزهة فهذا الرجل هو الملك . . .

فقد سأله قائد بحرية جلالتة ليلة مغادرته بورسعيد عن الموعد الذى يأمر بأن يبحر فيه اليخت الملكى من مرفأه ، فكان رد جلالتة : « الساعة السادسة صباحاً إن شاء الله ، ويكون الناس فى تلك الساعة نائمين أو لا يزالون فى بيوتهم فلا نكلفهم مؤونة المجيء إلى المرفأ لتوديعنا »

ولما علم بعض رجال الحاشية أن اليخت الملكى سيبحر فى الساعة السادسة صباحاً استغربوا ذلك وقالوا إن صوت آلات اليخت عند إبحاره سيزعج جلالة الملك فى تلك الساعة المبكرة فلا يستطيع النوم بعد ذلك .

ولم يكن الذين تبادر إليهم هذا الظن يعلمون ما سيعمله الملك عند فجر الغد . . . بل قبل أن ينبثق الفجر . . .

فقد استيقظ بعض منهم فى نحو الساعة الخامسة صباحاً وارتدوا ملابسهم بسرعة ليكونوا على ظهر اليخت قبل الساعة السادسة فيشاهدوا منظر اليخت عند خروجه من المرفأ

وظنوا وهم يصعدون الدرج المؤدى إلى ظهر اليخت أنهم لن يلقوا سوى ضباطه ورجاله . . .

ولكن كم كانت دهشتهم عظيمة لما أبصروا جلالة الملك واقفاً

في حجرة المراقبة في أعلى اليخت ببذلته البحرية يشرف ،
قد امتلاً نشاطاً ، على إجراءات إبحار اليخت

وبعد ما أبحر اليخت قضى جلالتة معظم الساعات الخمس التي
استغرقتها الرحلة في الرد على تحيات الجنود والعمال والأهلين
الذين احتشدوا على ضفتي القنال ليحظوا باجتلاء طلعتة الكريمة
ولو عن بعد

وأذيع في أواخر شهر مارس الماضي^(١) أن جلالة الملك سيقصد
باليخت الملكي الخاص « نخر البحار » إلى البحر الأحمر في رحلة
بحرية تستغرق أياماً للراحة والاستجمام

فإنه على أثر شفاء جلالتة من حادث السيارة الذي حدث له
وعودته إلى القاهرة من « القصاصيين » نصح له الأطباء بتبديل
الهواء فترة من الزمان بعيداً عن مهام الملك وأعبائه ، فلم يصغ
يومئذ إلى نصيحتهم لأن بعض تلك المهام والأعباء كان يقتضى
وجوده في العاصمة ومنها استقبال الوفد اللبناني

ثم أرجأ رحلته بسبب زيارته لأعلى الصعيد على الرغم من
إلحاح الأطباء عليه بعدم السفر
وعاد فأرجأها مرة أخرى إلى ما بعد زيارته الرسمية للقضاة
وبورسعيد

ثم عين جلالته موعد رحلته البحرية
ولكنه ما كاد يصعد إلى اليخت الملكي حتى فاجأ الذين
كانوا بمعيته بأن الرحلة لن تكون رحلة راحة واستجمام كما قيل ،
بل ستكون ، قبل كل شيء ، رحلة علمية للارتياح والاستطلاع
وقطع جلالته ١٥٦٨ ميلاً بحرياً في أربعة عشر يوماً ، زار
في خلالها الجزر الصخرية التي في خليج السويس ليستقصى
بنفسه عن مقدار ثروتها المعدنية ، وزار كذلك الجزر التي في خليج
العقبة ، وزار في طريق عودته البلاد التي على شاطئ البحر
الأحمر كالغردقة وسفاجة والقصير

واغتتم جلالته فرصة وجوده في سفاجة فقطع بالسيارة نحو
خمسة كيلومتر تفقد فيها آبار الماء في تلك المنطقة وأخذ عينات
منها لتحليلها كإيوان ، وأشار بما يجب عمله لإصلاح حالة تلك الآبار
خدمة للعربان الذين يشربون منها ، وفي كل مكان نزله جلالته

كان يأمر بتوزيع الأقمشة والكساوى والسكر والشاى على فقرائه
 وصادف اليخت الملكى زوابع وغواصف قوية حتى ظن أن
 جلالته سيأمر بعدم إتمام الرحلة ، ولكنه أبى تعديل شىء من
 برنامجها ، فقد أراد أن يطبق على رحلته البحرية ما يطبقه على
 رحلاته الصحراوية وهو أن يعيش عيشة الجنود وأن يختبر
 بنفسه هذه المعيشة فى جميع أطوارها

وليس أدل على الصبغة الديمقراطية التى تصطبغ بها رحلاته
 من أنه لما عرج على « العقبة » وطاف أرجاءها وقابل حاكمها
 وفوزع الأقمشة والكساوى على فقرائها لم يفتن أحد إلى حقيقة
 شخصه على نحو ما ذكرته الصحف فى حينه ، فقد حسبوه كبيراً
 مصرياً لا أكثر ، ولم يكن يهم جلالته أكثر من أن يذكر
 فيهم مصر بالخير والثناء !

الفصل الثالث

كثرة معلومات جلالة
وحبه للاطلاع والقراءة

ولما عدت من أسوان بعد تشرفي ببقاء جلالة الملك فيها سألتني
كثيرون الأسئلة التقليدية التي توجه إلى المرء في مناسبة كهذه
قلت لهم إن الله حبا ملكنا بتلك القوة الخفية العظيمة التي
تجذب إليه القلوب، وكما ازددت شرفاً بمعرفته ازددت تعلقاً به
فلا غرو إذا سمى الملك المحبوب

وتسمع أن جلالة يعرف كثيراً، وأنه يعي أشياء كثيرة،
وتقرأ في تصريحات كبار الأجانب الذين يتشرفون بمقابلته أنه
يهرم بحديثه ويدهشهم بمعلوماته — كل ذلك صحيح ولكنه
أقل من الحقيقة والواقع

وكنت في شهر ديسمبر الماضي^(١) أتغدى على مائدة دولة
سعد الله الجابري بك رئيس الوزارة السورية في دمشق مع
بعض الوزراء والنواب والزملاء السوريين، فجاء ذكر جلالة الملك

(١) ديسمبر سنة ١٩٤٣

فقال دولته للحاضرين : « لا أخفى عليكم أننى قبل أن أتشرف
بمعرفة الملك فاروق كنت أظنه ملماً بما يتسنى للملك كثير المشاغل
أن يلم به لا أكثر ، فلما تشرفت بمعرفته أدهشنى بطلاوة حديثه
وغزارة معلوماته سواء كان ذلك فى الشؤون الداخلية أم فى
الشؤون الخارجية ، وبهرنى بما يعرفه عن بلادنا ومراحل قضيتها
وبما يعلمه عن رجالنا واحداً واحداً وعن دقائق أحوالنا المحلية ،
فأذا تحدثت عن جلالته بما يطابق إعجابى به شعرت بشيء من
الخلجل خوفاً من أن يقول الذين يصغون إلى حديثى إننى أبالغ
فى الوصف ، والواقع أنى مهما وصفت وأطنبت فلست قادراً على
الإعراب عما تركه جلالته فى نفسى ولذلك أؤثر عدم الكلام »
والذين يعرفون دولة سعد الله الجابرى بك يعرفون عنه أنه
ليس من الرجال الذين يتأثرون بسهولة كما أنهم يعرفون عنه
أن اختلاطه بالكبراء والعظماء ليس حديث العهد فيقال إن
مقابلاته للملك مصر بهرته ، وهو من جهة أخرى لم يشتهر
بالسخاء فى كيل المديح والإطراء للكبراء والعظماء فيقال إنه تحدث
عن الملك فاروق باللهجة التى ألف الناس سماعها منه عن كل ذى
بيلطان أو صولجان

وعلى ذكر جلالة الملك ودولة سعد الله بك يطيب لى هنا
أن أنوه بحادث طريف قد يكون صغيراً فى نفسه ولكنه عظيم
المغزى لمن يتأمل فى دلالة

فى خلال أحد أحاديثهما أوصى جلالة الملك كبير وزراء
سوريا خيراً بأصحاب فندق « أوريان بالاس » وهو الفندق
الوطنى الكبير فى دمشق، فقد سر جلالة أن يقدم بعض الوطنيين
على إنشاء أكبر فندق فيها، ولكنه علم أن إيراد الفندق لا يغطى
جميع نفقاته مع أن جميع الآراء التى سمعها متفقة على أنه خليق
بالتشجيع والمساعدة، فأكبر دولته هذا الشعور فى جلالة
ووعده بأن يعير الموضوع ما يستحق من عناية

ولما عاد سعد الله بك إلى دمشق وذهب إلى فندق « أوريان
بالاس » قابله صاحبه عند مدخله فما كاد دولته يلمحه حتى
قال له : « وحتى أنت تعرف الملك فاروق عنك ! »

أما فيما يتعلق بأحوال مصر بالذات فالحقيقة هى أن الملك
يعرف عنها أكثر جداً مما نظن وهو محيط بشؤون البلاد
والشعب أكثر جداً مما يتبادر إلى الذهن وأؤكد أنه يعرف عن

مصر ما لا يعرفه عنها كثيرون من المشتغلين بالشؤون العامة
قال لي مرة معالي احمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان
الملكي إنه كثيراً ما يذهب إلى الملك بمعلومات وهو يظن أنها
لم تصل إلى علم جلالته بعد فيجده محيطاً بتفاصيلها أكثر منه
ولما تشرفت بمعرفة جلالته ظهر لي أن ما أفضى به إلى حسنين
باشا هو الحقيقة بعينها خالية من كل مبالغة

فالملك في حرصه على خير بلاده ورفاهية شعبه يتتبع أحوالها
بعناية بلغ من فرط تدقيقه فيها أن كل كبيرة وصغيرة في شؤون
المملكة تلقى ما هي جديرة به من التفاته واهتمامه

بل إن الواقع يجاوز ذلك

فقد يسألك جلالته سؤالاً ما فتردد في الجواب عنه أو تحاول
تجاوب جواباً مقتضياً عاماً ، أو سطحياً مجحلاً ، فيفاجئك
بجلالته بما ينم على أن الحقيقة ليست غريبة عنه ، فتسائل نفسك
من أين لجلالته كل ما يعلمه ؟

وليس في ذلك سر فإن بعض الناس يتوهم أن الملك المقيم في
قصره لا يرى من مصر كثيراً ولا يعلم عن أحوال مصر إلا
بصل إلى سمعه أو ما يقرأه في التقارير التي ترفع إليه ، ولكن

الذين يتوهمون ذلك يخطئون خطأ عظيماً ، فالملك دائم الاختلاط
بشعبه وإن لم يفتن الناس دائماً إلى شخصه ، وكما سمح له وقته
بالخروج من القصر متكرراً فعل ذلك ، وقد يركب أول مركبة
يصادفها في طريقه ويطلب من سائقها أن ينطلق بها في الأحياء
الوطنية ، وهناك يعكف على درس حالة الطبقات الفقيرة — هذه
الطبقات التي لم تفتأ تلقى من عطفه وبره ما يعجز البيان عن وصفه
ومن ذلك أنه قابل مرة الأستاذ حامد جودة وزير التموين في
وزارة دولة حسين سرى باشا وبحث معه شؤون التموين بحثاً وافياً
أدهشه ، ولكن دهشة الوزير كانت أعظم لما قال له جلالاته
إن الرقابة ضعيفة في السلخانة ، وإنه ذهب بنفسه إلى مكان
يشاهد منه المواشى التي تدخلها فتبين له أن الأمر الخالص بأن
يقتصر الذبح على ذكور المواشى لا يحترم على الوجه المرغوب فيه
ثم قال للوزير إنه عرج على مكان كذا في جهة كذا فالفهم
لا يخلطون الدقيق بالنسبة التي عيّنها الأمر العسكري

ويجد جلالاته في قوة بنيته ما يساعده على ذلك فيتعب الجميع
ولا يشكو هو تبعاً ما ، ففي رحلاته الصحراوية ترى جلالاته
آخر من يأوى إلى فراشه وأول من يستيقظ مبكراً مع أنه دائماً

أكثر أفراد القافلة حركة ونشاطاً وصعوداً ونزولاً
وفي أسوان كنت أراه في كل مكان دائم الحركة والنشاط
لا يعرف شيئاً اسمه القيولة ، فهو بعد الغداء مثله قبل الغداء
مستعد دائماً للعمل والاطلاع

أما في القصر فشعاره « لا عمل يؤجل إلى الغد » ولو اقتضى
ذلك بقاءه في مكتبه معظم ساعات النهار وجانباً من ساعات الليل
ويندر أن يعرض عليه تقرير أو مذكرة أو بحث من دون
أن يسجل عليه قلمه الأحمر ما يدل على أنه اطلع عليه اطلاعاً
وافياً واستوفى درسه

ومما يساعده على كثرة الاطلاع أنه سريع القراءة مع التيقظ التام
لكل عبارة أو فقرة تستوقف النظر ، وله في ذلك نواذر كثيرة
تدعو إلى الاستغراب العظيم ، ومن طريف ما يروى في هذا الصدد
أنهم عرضوا على جلالته مرة مقالاً لأحد الكتاب يصف به حفلة
شهدها جلالته ، وكان مما قاله الكاتب إنه كان في الحفلة « بوفيه
على الواقف » فابتسم جلالته وقال بما هو مأثور عنه من سرعة
الخاطر : وهل رأى الكاتب « بوفيه » على القاعد ؟ !

ويطالع جلالته الصحف والمجلات الكبيرة بتدقيق تام وهذا
 عدا القصاصات التي ترفع إليه يوميا ، وفي كل يوم تتلقى مكاتب
 الديوان الملكي عدة مذكرات من جلالته بأمر يرغب في
 الاستفسار عنها أو يريد تفاصيل جديدة في شأنها تعزز المعلومات
 التي عنده عنها ، وهي تتصل عادة بمرافق الدولة العامة وشؤون
 الشعب الحيوية ، فتجمع مكاتب الديوان الملكي البيانات المطلوبة
 من الجهات المختصة وكثيراً ما تجهل هذه الجهات أن الملك نفسه
 هو المهتم بالموضوع إذ لا يتبادر إلى أذهان القائمين بالأمر فيها أن
 وقت جلالته يتسع لذلك كله ، ومن الأمثلة التي تحضر لهذه
 المناسبة أن جلالته قرأ مرة في بعض الصحف أن بعضهم شكوا إليها
 من أن وزن الرغيف بالإسكندرية أقل من وزنه بالقاهرة ،
 فأمر بالاستفسار عن هذا الخبر ، أصحح هو أم غير صحيح ؟
 فإذا كان صحيحاً فما الباعث على هذا التفاوت في وزن الرغيف
 في العاصمتين ، ومن هذا المثال البسيط يستطيع القارئ أن يدرك
 مدى تتبع جلالته لأحوال البلاد ، ومقدار عنايته بتحري
 جزئيات شؤونها العامة ولا سيما إذا كان لهذه الشؤون صلة بحياة
 الشعب اليومية

وإذا كان لجلالته شكوى من المكاتب التى يتألف منها
الديوان الملكى فهذه الشكوى هى أن هذه المكاتب لا ترفع إليه
البيانات أو التقارير التى يطلبها منها بالسرعة التى يريد ، مع ما
يسود تلك المكاتب دائماً من نشاط ولكن أنى لنشاطها أن
يجارى نشاطه فإنه إذا انهمك فى عمل ما وخشى أن تحول أعمال
الغد دون تمكنه من الرجوع إليه خصص به السهرة كلها ولو
ظل ساهراً معظم ساعات الليل

ويطلع جلالته بانتظام على طائفة كبيرة من الصحف والمجلات
الغربية فيحيط بتقدم الحضارة والعلوم والفنون إحاطة مستمرة ،
وهو يتلقى فوق ذلك قصاصات من جميع المقالات والأخبار التى
تنشر عن مصر فى الخارج

ولجلالته شغف عظيم بالكتب تجلى فيه منذ حداثته ، ولما
كان فى انجلترا كان ينفق جل ماله على اقتناء الكتب ، وفعل
جلالته مثل ذلك لما زار فرنسا وسويسرا ، فاجتمعت عنده مكتبة
خاصة كبيرة من ذلك الحين ثم أخذت تنمو على مر الأيام ، وهى
اليوم تملأ عدة حجرات كبيرة برمتها فى الجناح الذى أفرد لها فى

قصر القبة ، ويتولى بعض الموظفين تنسيقها وتبويبها بإشراف جلالته ، وللكتب العربية من كل نوع نصيب وافر فيها ولا يكتفى جلالته باختيار أحسن الكتب التي تصل إلى المكتبات الكبيرة في مصر بل يترقب بشوق ما يرد من النشرات التي يتلقاها تباعاً من أشهر بيوت النشر في الخارج عن أحدث مطبوعاتها في شتى الفنون والعلوم والشؤون فيرسل فوراً في طلب ما يقع عليه اختياره منها ، وبهذه الكيفية يتتبع جلالته كل جديد مفيد ، يساعده على ذلك ما يتمتع به من ذاكرة قوية وبديهة حاضرة

حدث عند تبشريفه للمطار الأمريكي الكبير بزيارته لمناسبة رحلته الجوية إلى الإسكندرية (وسيجد القارئ حديثاً عن هذه الرحلة في فصل تال) أن دعاه القائد الأمريكي إلى مشاهدة طائرة حربية من نوع جديد ، وقبل أن يشرع الضابط المختص في توجيهه نظر جلالته إلى الجديد في تلك الطائرة كان جلالته يحدثه عنه حديث الخبير المطلع ، وفي تلك اللحظة رأيت ضابطاً أميركياً ينظر إلى زميل له نظرة من يقول له : « ليس هناك جديد لا يعرفه هذا الملك »

ولما اشترى جلالتة أخيراً اليخت الملكي « نخر البحار » سمعته يتحدث حديثاً طويلاً عن أشهر اليخوت في العالم وتاريخها والقوارق التي بينها ، وأؤكد للقارئ أن جلالتة لو كان يقرأ حديثه في كتاب أمامه لما جاء أكثر من ذلك طلاوة ودقة ، وكان سعادة السيد نعمان طاهر سيمن وزير تركيا المفوض حاضراً فذكر اليخت الذي كان للمغفور له الغازي كمال أتاتورك فانتقل جلالة الملك حالا إلى التنويه بأهم مميزاته

ومن المعلوم أنه ليس لمصر في بلاد كالبرازيل مصالح تذكر ومع ذلك قال لي سعادة المسيو باربوزا كارنيرو وزير البرازيل المفوض في مصر إنه لما تشرف بمقابلة جلالة الملك لأول مرة بعد تقديم أوراق اعتماده أدهشه جلالتة بوفرة معلوماته عن البرازيل ثم قال لي سعادته : ومن مدة قصيرة مر بمصر وزير المكسيك المفوض في روسيا وهو دبلوماسي ومحدث قدير فبعد ما تشرف بمقابلة جلالة الملك فاروق جاءني يقول : « لقد أذهلني حديث الملك عن المكسيك فكأنما عرفها وأقام بها »

ومما يدل على شدة اهتمام جلالتة بمطالعاته أنه لما اتسعت ميادين القتال في روسيا وقفت سيارة خاصة مساء ذات يوم أمام

مكتبة شهيرة في وسط العاصمة ونزل منها ضابط بملابس الطيران
وسأل عن خارطة كبيرة لروسيا فأطلعوه على عدة خارطات فاختار
بعضها ودفع ثمنها وانصرف

وبينما كان يهيم بركوب سيارته عرفوه فقالوا : جلالة الملك
وكان جلالتة في حاجة إلى هذه الخارطات ليتتبع عليها أنباء
سير القتال فذهب إلى المكتبة واشتراها بنفسه

ومن أطف ما سمعته عن ولع جلالتة بالقراءة أنه لما كان
يطلب العلم في إنجلترا وهو أمير لاحظ عليه رائده أحمد محمد
حسنين باشا أنه بعد ما يدخل حجرة نومه يطيل السهر في المطالعة ،
فوجه نظره إلى ذلك واتفق معه على الساعة التي يترك فيها سموه
الكتاب ويطفيء نور الحجرة ، ولكن معاليه لم يلبث أن لاحظ
بعد أيام أن فترة المطالعة في السهرة كادت تعود إلى عهدا السابق
فصنع لمصابيح حجرة سموه مفتاحاً يصل شريطه إلى حجرة سموه
فاذا حل الموعد الذي عينه لنهاية المطالعة أطفأ أنوار حجرة سموه
من حجرة سموه ، وكان معاليه يرضى من وقت إلى آخر أن يمد الموعد
نصف ساعة إذا طلب منه سموه ذلك

وبعد ما نفذ حسنين باشا هذه الخطة ظن أن في استطاعته

أن يطمئن إلى أن سموه ينام في الموعد الذي عينه فلا يكاد معاليه يدير المفتاح الذي عنده ويطفيء الأنوار حتى ينام ملء جفنيه غير أنه حدث بعد مدة أن استيقظ حسنين باشا مرة في ساعة متأخرة وخرج من حجراته فحيل إليه أنه يلح نوراً منبعثاً من حجرة الأمير وأن النور انطفأ فجأة في اللحظة التي فتح فيها باب حجراته ، فلما أصبح الغد لم يكشف سموه بما استوقف نظره لئلا يكون قد توهم أنه رأى نوراً في حين أن لا نور هناك

وانقضت فترة أخرى من الزمان ، وفي ذات ليلة استيقظ حسنين باشا اتفاقاً مرة أخرى وأراد أن يذهب إلى مكتبه فمكاد يفتح باب حجراته حتى انطفأ نور كان يتسرب من حجرة الأمير ، فدهش لذلك دهشاً عظيماً ولكنه لم يقل لسموه شيئاً لما التقى به في الصباح فقد أراد أن يكشف السر بنفسه قبل أن يخاطبه في الأمر

و بعد أيام كان الخدم ينظفون حجرة الأمير وقد وقف سموه ينسق بعض حاجاته الخاصة فمرّ بهم حسنين باشا ولما أبصر الأمير حياه ودخل الحجرة وفي خلال حديثه معه حانت من معاليه التفاته إلى أعلى خزانة الملابس فلمح على سطحها مجموعة من

البطاريات الكبيرة لتوليد النور وكان سموه قد اشتراها ليستعيرها
بها من الكهرباء مادام رائده يأبى عليه السهر والقراءة بعد ساعة
معينة، فلم يتمالك حسنين باشا من الضحك ولكنه أوعز بنقل تلك
البطاريات من مكانها، ورضى الأمير بنقلها متبرماً



والفاروق في حبه للاطلاع متعدد النواحي، بل يمكن أن يقال
إنه ليس لشغفه بالاستزادة من الاطلاع حد، فكل شيء يستحق
الاهتمام بهمه ويلذ له، في الفنون وفي العلوم على السواء. والأغرب
من ذلك أنه يجد لكل ضرب من ضروب هوايته وقتاً، وقليلون
يعلمون مثلاً أن المتحف الحربي الخاص الذي أنشأه المغفور له
الملك فؤاد في قصر عابدين غدا في عهد الفاروق متحفاً عظيماً يضم
بين جوانبه مخلفات كثيرة لا مثيل لها في متاحف أخرى، وهو
إلى جنب ذلك شديد الشغف بدرس النقود القديمة وعنده مجموعة
نفيسة منها، ويعنى جلالتة عناية كبيرة بتكملة مجموعة طوابع البريد
الثرينة التي خلفها له والده العظيم، وعنده مجموعة نادرة من الساعات
القديمة على اختلاف أنواعها، وإذا كنت أنوه بذلك فليس التنويه
على سبيل الحصر بل على سبيل المثال للدلالة على تعدد النواحي

التي يشغل بها جلالته نفسه في أوقات الفراغ والترويح عن النفس
ومما سمعته مرة عن جلالته في هذا الصدد أنه لما كان في
سويسرا قدم أحد الأجانب إلى رجال الحاشية مجموعة من المدايات
القديمة وقال إنه يرغب في بيعها لملك مصر وكان عددها أربعة
آلاف مدالية

ومع أنه لم يكن بينها سوى ١٥٠ مدالية تستحق الذكر أمر
جلالته بشرائها كلها مساعدة للرجل فاشتروها وأدخلوها عليه وهم
يظنون أنه سيرجيء الاهتمام بها إلى حين عودته إلى مصر

ولكن في صباح اليوم التالي علموا أن جلالته مهر الليل
بطوله حتى الساعة السادسة صباحاً في « جلاء » تلك المدايات
وتنظيفها مع ثلاثة من أمنائه الخصوصيين ، فلما تشرف رائده
بمقابلته قال له : « ارفع هذا الغطاء يا باشا » فرفع حسنين باشا
الغطاء فأبصر أربعة آلاف مدالية تلمع أمامه فقال جلالته عندئذ
باسمياً : « والآن يمكننا أن نختار النفيس منها »

* ولا يكاد جلالته يجد شيئاً ينفع مؤسسة مصرية حتى يقتنيه
من الجيب الخاص ويرسله إليها ، وفي متحف سكة الحديد ومعهد

الأحياء المائية في الاسكندرية وغيرها من المؤسسات المصرية
العامة شواهد كثيرة على ذلك

وما دخلت مرة المتحف الحربى إلا قال لى أمينه إنه تلقى
هبة جديدة من جلالته فأضافها إلى هباته السابقة المتعددة سواء
أكان ذلك أسلحة أم كتباً عسكرية نادرة

وكان جلالته جالساً على شرفة الفندق بأسوان فجاءه أحد
رجال الحاشية يقول إن بالبواب رجلاً معه تمساح يروم بيعه لجلالته
فقال بعض الحاضرين : وما ذا يريد مولانا من التماسيح ؟
أما جلالته فقال : هل يريد الرجل بيع التمساح إرضاء لنا أم
لحاجته إلى المال ؟

فقال الرسول : لحاجته إلى المال يا مولاي

فقال جلالته على الفور : لا تردوه إذاً ، بل اطلبوا منه أن
ينتظر عودتنا من رحلتنا فى الصحراء ثم اشتروه منه وأرسلوه إلى
حديقة الحيوان فى الجزيرة فيستفيد الرجل وتستفيد الحديقة

وكثيراً ما يصل إلى مسامع جلالته أن بعض المتحف والطرف
متباع فى مزاد علنى وأنه يخشى أن يتسرب إلى الخارج فيوفد

إلى حيث المزاد من يشتريها له باسمه لالحاجته إليها في معظم
الأحيان بل ليطمئن على بقائها في مصر

وهو بدافع من هذا الشعور نفسه يشتري من أوروبا أشياء
كثيرة يرى أن مصر أولى بها من كل بلد آخر مهما يكلفه ذلك
من مال وإن كانت ظروف الحرب قد جرت من هذه المشتريات
طبعاً ، ومن الأشياء التي جمعت من أوروبا بهذه الكيفية مجموعة
من الصور التاريخية الملونة النادرة للوحدات التي كان الأسطول
المصري يتألف منها في عهد ساكن الجنان المغفور له
محمد علي باشا الكبير

الفصل الرابع

دمقراطية جلالته

وجولاته وزياراته غير الرسمية

لما زرت أنقرة في سنة ١٩٣٤ دعاني السيد شكرى قايا وزير الداخلية التركية إذ ذاك إلى العشاء في مطعم « كاربتش » وهو مطعم معروف لكل من زار العاصمة التركية الكمالية وقد أنشأه أحد الروس البيض كما كانوا يسمونهم في ذلك الحين فلم يلبث أن أصبح ملتقى أقطاب الحكومة التركية والنواب ورجال السلك السياسى وسيداتهم وأصدقائهم .

وبينا كنا نتجاذب أطراف الحديث في أثناء العشاء فتح باب المطعم ودخل رجلان لم يستوقف دخولهما نظرى لأنهما دخلا كما يدخل سائر الناس ولم أتبين ملاحظتهما لأن طوق معطفيهما كان مرفوعاً إلى أعلى ولأنهما اتجها بسرعة إلى مائدة خالية ، فالتفت إلى شكرى قايا وقال لى : « أتعلم من هو أحد الرجلين اللذين مرا بنا من لحظة ؟ » وعندئذ حدثت النظر فيهما فعرفت في أحدهما حالاً الغازى كمال أتاتورك وقد جاء ليتعشى مع أحد أصدقائه كما

يجي الناس جميعاً ، واحترم الحاضرون رغبة معروفة عنه فلم ينهض له أحد ولم يسلم عليه أحد ، وحدثني وزير الداخلية فقال إن الغازي يكثر من التردد على هذا المطعم وعلى بعض الأندية والمحال العامة بصفة غير رسمية وبالبساطة التي رأيناها بها في تلك الليلة حتى إن الزائر الغريب لا يشعر بوجوده إلا إذا نبهه أحد إلى ذلك لأنه يأبى عند ما يخرج بصفة غير رسمية أن يحاط بمظاهر المراسم التقليدية

وبعد قليل تلقى شكرى قايا إشارة بأن يذهب إلى مائدة الغازي ، ولما انصرف نخامته دعاني الوزير إلى زيارة نادي الأناضول وهناك كذلك وجدنا الغازي جالساً في إحدى حجراته مع بعض المقر بين إليه ، ومضى شكرى قايا في حديثه عن رئيسه فقال: إن الغازي يسبب لي تعباً شديداً لأنه يذهب إلى كل مكان عام يطيب له الذهاب إليه بدون أن يصحبه حرس ، فاليوم هنا وغداً في السينما وبعد غد في القهوة المجاورة لمزرعته التي رأيتها أمس وإذا علم أن رجالي يتبعونه غضب غضباً شديداً

وفي اليوم التالي ليوم مقابلي للرئيس عصمت إينونو دعاني صديق تركي إلى مشاهدة سباق الخيل فرأيت الرئيس عصمت

جالساً في مقصورته فدعاني إليها ثم قال لي : « ما رأيك إذا ألقينا نظرة على الجياد التي ستشارك في السباق ؟ » وغادر فخامته مقصورته إلى المكان الذي عرضوا فيه الجياد وكان مزدحماً بالناس فشق طريقه بينهم وهو بدون قبعته من غير أن يفتن كثيرون إلى شخصه ولا أن يجروا أحد على توجيه نظرهم إلى وجوده بينهم ، وذلك عملاً بتعليماته عند ما يخرج بصفة غير رسمية ، واحترم مواطنوه مشيئته كما احترمو مشيئة الغازي فلم يزججه أحد بتحية في غير وقتها أو بحديث في غير محله

وزار « دوق وندسور » مصر لما كان لا يزال ولياً للعهد وكانوا يسمونه « برنس أوف ويلس » وكان شقيقه المرحوم « دوق كنت » يرافقه في الزيارة التي نتحدث عنها هنا فأعربا يوماً عن رغبتهما في تسلق الهرم الكبير فقبل لهما إن تسلقه لا يخلو من مشقة وخطر فأصرا على رأيهما وذهبا إلى الأهرام ببدلتين عاديتين حتى إذا وصلا إلى المكان الذي كان الدليل ينتظرهما فيه نزعا البنطلون الطويل وتسلقا الهرم الكبير « بالشورت » بسرعة أدهشت جميع الحاضرين

وكنت بلندن فدعاني المستر عبد الله فيلي المستشرق

المعروف إلى زيارته في ناديه وهو من أشهر الأندية الإنجليزية
 وبينما كنا جالسين في إحدى قاعاته أقبل البرنس أوف ويلس
 مع ياوره فانتظرت أن ينهض الجالسون في القاعة احتراماً له فلم
 ينهض أحد وقال لي المستر فيليبي : « هذا أميرنا » ولم يقل أكثر
 من ذلك واستمر في حديثه كما استمر جميع الحاضرين في أحاديثهم
 كأنهم لا يعرفون ولي العهد ، ولكنني قلت لمضيفي : « ألا تعرفون
 عند ما يجي البرنس أوف ويلس ؟ » فابتسم وقال : « كلا . لأنه
 هو لا يريد ذلك وكل ما هنالك أنه إذا أقبل على ركن من
 أركان النادي ليجلس فيه نهض الجالسون في ذلك الركن تحية له
 فيرد لهم التحية وينتهى الأمر عند ذلك فلا يخاطبه أحد إلا إذا
 أراد سموه مخاطبته ولا يسلم عليه أحد إلا إذا أراد سموه أن
 يسلم عليه »

وفي براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا رأيت الرئيس مازاريك
 يخرج من قصر رئاسة الجمهورية وحده ممتطياً صهوة جواده ليتنزه
 في حدائق براغ العامة وكان فخامته يومئذ قد جاوز السبعين
 والذين يعرفون المستر كوتريل من رجال السفارة البريطانية
 السابقين في مصر — وهو الآن في السودان — يعرفون أن

قرينته من أبرع لاعبات «التنس» وهي تحتفظ بصور فوتوغرافية صورت لها ولجلالة الملك جوستاف ملك السويد الحالى وها يلعبان التنس معاً فى الريفييرا بفرنسا فإنه كثيراً ما كان جلالتهم يتردد على تلك البقعة العالمية الشهيرة ويختار للعب التنس معه أبرع اللاعبين واللاعبات غير متقيد بالقيود الرسمية بحال ما وذات مرة رأيت جلالة الملك البرت ملك البلجيكيك جالسا على مقعد خشبي فى حديقة عامة جنبا إلى جنب مع المسيو هيانس السياسى البلجيكي الكبير دون أن يخطر لكثيرين من الذين كانوا يمرون بهما أن هذا الرجل الذى يجلس تلك الجلسة المتواضعة هو ذلك العاهل العظيم وأن الرجل الآخر الذى كان يدخلن سيجارته فى أثناء حديثه معه هو المسيو هيانس ومن المأثور عن جلالة الملك كرستيان ملك الدنمرك أنه كثيراً ما يرى راكباً دراجته أو جواده فى شوارع كوبنهاجن أسوة بالسواد الأعظم من أفراد شعبه

وفى انجلترا نفسها وهى البلاد التى اشتهرت بالتقاليد يذهب جلالة الملك جورج السادس وجلالة الملكة اليزابث إلى دور السينما والتمثيل العامة كلما خطر لها أن يفعلا ذلك ، ومن مدة غير بعيدة

جاء في التلغرافات أن كريمتيهما الأميرة اليزابث والأميرة ماري
 روز اشتركتا في حفلة تمثيلية أقيمت للترفيه عن الجنود
 وكان المغفور له الملك فيصل الأول أول ملك عربي قاد سيارته
 بنفسه في جولاته وتنقلاته غير الرسمية وكثيراً ما شاهده
 البغداديون يقود سيارته ببغداد ولا يرافقه أحد من رجال
 حاشيته سوى ضابط من ضباط ياورانه ، ولما سافر إلى أوروبا بحراً
 في سنة ١٩٣٣ نشرت المجلات المصورة صوراً كثيرة تمثله وهو
 يلعب لعبة « دك تنس » (التنس على ظهر المركب) مع بعض
 المسافرين بالباخرة عينها من سيدات ورجال وقد نزع سترته
 وعلقها بنفسه على عمود من الأعمدة الخشبية على ظهر المركب
 فكانت ديمقراطيته وروحه الشعبية موضع إعجاب الجميع وثنائهم
 نرى من ذلك أن الحكم أدركوا أن لكل زمان أحكامه
 ومقتضياته ، وأن الحاكم الرشيد هو الذي يعرف كيف يسايرها فلا
 يدعها تمل عليه مشيئتها فإذا سايرها أمكنه أن يكبح جماح الطفرة
 بين شعبه وأن يوجهها توجيهاً معتدلاً يوفق بين ما يجب المحافظة
 عليه من التقاليد القديمة والتحول الاجتماعي الذي لا يمكن إغفاله
 ولا سيما في الأوقات التي تعقب الحروب لما تحدثه هذه الحروب

عادة من تغيير في الأوضاع الاجتماعية

وأذكر أنه لما تقرر سفر جلالة الملك إلى إنجلترا في طلب العلم كان رجاء كثيرين من رائده معالي أحمد محمد حسنين باشا أن يبذل أقصى ما يمكنه بذله ليتشرب جلالته بالروح الديمقراطية والشعبية الصحيحة فيشب محباً للاختلاط بشعبه قريباً من رعاياه، فما كاد جلالته يعود إلى مصر حتى بادروا إلى الاستفسار من حسنين باشا عما لاحظته من استعداد مليكهم الشاب من هذه الناحية فكان معاليه يقول لهم : « اطمئنوا فان مليكنا ديمقراطي بفطرته وإذا كنت قد احتجت إلى بذل مجهود في هذا الصدد فالجهود كان لأجل حثه على التقليل من ديمقراطيته »

ومما رواه حسنين باشا لهذه المناسبة أنه بينما كان جالساً يوماً في مكتبه في القصر الذي نزل فيه « الأمير » فاروق في إنجلترا جاءه من يقول إن الأمير غير موجود في القصر وإن سموه لم يقل لأحد إنه سيغادره ، فاستغرب معاليه غياب سموه وأمر الخدم بالتدقيق في البحث عنه فقالوا إنهم بحثوا عنه في جميع أرجاء القصر ولكن عبثاً وإنهم لم يلمحوه في الحديقة كذلك، فاتجه معاليه إلى باب القصر الخارجي ليسأل البوليس الواقف هناك هل رأى

الأمير خارجاً، ولشد ما كانت دهشته لما رأى سموه واقفاً يتحدث معه عن أحواله الخاصة وعن حياة رجال البوليس في إنجلترا بوجه عام.

ومن بواعث الإغتياب أن جلالة ملكنا نشأ مشبعاً بهذه الروح ، روح الديمقراطية والشعبية الصحيحة ، وعرف أن هذا الزمان أكثر من أى زمان آخر يقضى بأن يتصل رأس الدولة بجميع طبقات شعبه اتصالاً وثيقاً ليعرف عنها أكثر ما يمكنه معرفته وليحيط بأحوالها إحاطة مباشرة تامة وليكون صلة الاتصال بين ما يجب المحافظة عليه من تقاليد الماضى وما يجب الأخذ به من التحول الاجتماعى الجديد وهو التحول الذى قلت عنه فى فقرة متقدمة إنه لا يمكن إغفاله ، وبذلك يدفع عن شعبه خطر الطفرة فكثيراً ما يخرج الفاروق من قصره بسيارته الخاصة وهو يقودها بنفسه ، وكثيراً ما يتنقل فى أرجاء المملكة بقطاره الصغير الخاص (الديزل) لكيلا يكلف البلاد مؤونة القطر الرسمية الكبيرة وما تقتضيه الأسفار الرسمية من مراسم وتدابير ، وكثيراً ما يتردد فى غير أبهة ولا حرس على الجهات التى ينقب فيها العلماء عن الآثار القديمة ليتفقد سير العمل

في الكشف عنها ، وكثيراً ما يغشى بعض المنتديات العامة
وخصوصاً في فصل الصيف فيقضى فيها بعض الوقت ترويحاً عن
النفس ، وهناك يراه الناس جالساً إلى مائدة عادية كسائر الموائد ،
يأكل من الطعام المعد لرواد المكان جميعاً ، أو يشرب كوباً من
عصير البرتقال أو « الكازوزة » — فجالاته لا يحتسى الخمر —
أو من القهوة الثلجة وهو يدخن غليونته أو سيجارته وقد يدخن
سيجاراً من وقت إلى آخر

وقد يدعو جلاته إلى مائدته بعض الحاضرين من الذين
يعرفهم شخصياً فيدور الحديث على شؤون شتى ، وفي مثل هذه
الجلسات البعيدة عن قيود الرسميات وتقاليد القصور تتجلى
دمقراطية جلاته بأجمل مظاهرها ، ويتجلى معها مدى اطلاعه
الواسع على شتى الأمور والشؤون

قال لي مرة ضيف شرقي كبير وقد أبخذه العجب مما رآه في
جلالته في إحدى تلك الجلسات : « إنكم يا معشر الكتاب
تصفون لنا ملك مصر في مواقفه الرسمية فلماذا لا تصفونه في
جلسة كهذه حيث تتجلى عظمته الشخصية قوية ، رائعة ،
فياضة ، في إطار بديع من الديمقراطية الصحيحة . . . لقد كنت

إني هذا اليوم أحترم ملككم، أما الآن فاني أحترمه وأحبه معاً»
ومن المصادفات اللطيفة أن جلالة الملك جورج الثاني اليوناني
وجلالة الملك بطرس الثاني اليوغسلافي كانا يتعشيان ذات ليلة
منفردين في منتدى مشهور على طريق الأهرام فقلت في نفسي
إنها تكون مناسبة جميلة لو أقبل جلالة ملكنا وتعشى هنا الليلة
كذلك . . . وبعد دقائق رأيت جلالتهم داخل المكان بتلك
البساطة التي تزيد جولاته غير الرسمية رونقاً وبهاءً ، فاجتمع
ثلاثة ملوك في منتدى عام واحد .

وبعد ذلك بأسبوع مر بالقاهرة صاحب السمو الملكي الأمير
عبد الإله ولي عهد العراق والوصي على عرشه فأمضى سهرة اليوم
الذي وصل فيه في ذلك المنتدى عينه فكان ذلك أيضاً مظهراً
لتحول جديد . واتفق في تلك الليلة وجود عدد غير يسير من
الكبراء المصريين والأجانب ورجال السلك السياسي فسروا بمشاهدة
سموه كما سروا قبل ذلك بأيام بمشاهدة صاحب السمو الملكي
الأمير بول ولي عهد اليونان

ويندر أن تقام حفلة خيرية كبيرة لمشروع إنساني جليل
أو لمؤسسة مصرية خيرية أو اجتماعية تستحق الرعاية الملكية

بدون أن يشرفها جلالته بحضوره إما بصفة رسمية أو بصفة غير رسمية معاضدة لها وحثاً للناس على تشجيعها وتأييدها ، وفي الحالتين يأبى جلالته أن ينحصر به مكان ممتاز ، بل يجلس إلى مائدة عادية كسائر الحاضرين مع بعض رجال حاشيته وضيوفه ، كأنما يريد أن يشعر كل فاعل خير بأن الملك يقدر صنيعة قدره وأنه في تقديره للذين يبرون بالفقراء لا يميز كبيرهم من فقيرهم . ألم يقل جلالته في إحدى المناسبات : « إن الملك يكرم كل من يكرم الفقير . ؟ ثم يطوف جلالته أرجاء المكان كأنه واحد من الناس جميعاً ، وبصحبته واحد من رجال الحاشية لا أكثر ، كأنما يريد جلالته أن يحيي جميع الحاضرين وأن يشكرهم وإن لم يخاطبهم ، ومما هو جدير بالذكر هنا أن الناس قدروا هذا الروح حق قدره وعرفوا مع اغتباطهم بديمقراطية جلالته ، وعلى الرغم من نشوة الفرح التي تستولى عليهم عند ما يرونه بينهم ، أن يسلكوا من بدء الأمر المسلك الذي يطابق إرادته ويتمشي مع رغبته فلا يقف أحد لتحية جلالته إذا لم يبادره هو بالتحية ، ولا يتقدم أحد للكلام مع جلالته إذا لم يدعه هو إليه ، فقد علم الناس من اللحظة الأولى أن جلالته يريد أن يتمتعوا بحريتهم ولا يشاء

أن يكون وجوده بينهم في مثل هذه المجتمعات سبباً للحد من هذه الحرية بحال ما ، فمن حقه عليهم أن لا يتوسلوا بدمقراطيته ليعكروا صفاء هذا الاختلاط الجميل بين الملك وشعبه .



وليس أدل على شدة تقدير جلالتة لضباط جيشه من أنه يفاجيء ناديمهم بزيارته من وقت إلى آخر فيتعشى مع من يتفق وجوده منهم ويقضى معهم السهرة في جلسة عائلية كأنه واحد منهم وكنت مدعواً لتناول العشاء في نادى ضباط الجيش في مساء يوم من شهر فبراير الماضى ، وكانت داره حافلة بالضباط من جميع الرتب ، وفي نحو الساعة الثامنة والنصف لمحت أحد الضباط الشبان يهرول إلى حجرة جلس فيها سعادة الفريق إبراهيم عطا الله باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش مع بعض لواءات الجيش الحاليين وبعض كبار زملائهم المتقاعدين ويقول : « جلالة الملك شرف » نخفوا لاستقبال جلالتة ، وفي أقل من لحظة سرى النبأ فى أرجاء النادى كله

وكان جلالتة مرتدياً بدلة القائد الأعلى للجيش ، وهذه البدلة وبدلة القائد الأعلى لسلاح الطيران هما البدلتان اللتان يطيب

لجلالته أن يلبسهما في معظم الأيام اعتزازاً بجيشه وتقديراً لرجاله ،
 وبعد ما صافح مستقبليه اتجه إلى قاعة الاستقبال الكبرى وعلى
 وجهه أمارات السرور والارتياح ، وبعد ما تحدث مع كبار
 الضباط الحاضرين قليلاً أبدى رغبته السامية في مشاهدة جميع
 الضباط الذين اتفق وجودهم في النادي على اختلاف رتبهم ، فما
 كادت هذه الرغبة الكريمة تذاع بينهم حتى أقبلوا مسرعين ،
 فرحين ، ووقف جلالته في وسط القاعة يستقبلهم ويصافحهم واحداً
 واحداً وقد ارتسم على محياه الوضاح كل ما كان جلالته يشعر
 به من غبطة في تلك الساعة ، وكان الفريق عطا الله باشا يقدم
 كل واحد باسمه واسم السلاح الذي ينتمى إليه ، وحدث عند
 تقديم أحدهم أن قال عطا الله باشا : « فلان كان في سلاح كذا
 والآن . . . » ولم يكمل عبارته فظل جلالته مستوقفاً الضابط إلى
 أن عرف منه السلاح الذي نقل إليه

وكان الضباط يدخلون القاعة الواحد تلو الآخر في صف طويل
 بلا تفريق بين رتبهم فقد أصدر جلالته نطقه السامى بأن يكون
 الاجتماع عائلياً من جميع الوجوه لا مراسم فيه ولا قيود ، ولما
 فرغ جلالته من مصافحتهم جميعاً أخذ يحدث كبار الضباط

الحاليين والسابقين ثم قال لهم : « والآن تفضلوا نأكل معاً »
وسار في طليعتهم إلى قاعة الطعام الكبرى فتصدر المائدة التي
أعدت لجلالته وجلس إلى يمينه الفريق إبراهيم عطا الله باشا
فالفريق حسن حسنى الزيدى باشا فبعض لواءات الجيش الحاليين
والسابقين ، وجلس إلى يساره الفريق عمر فتحى باشا فلفيف آخر
من الضباط الحاليين والسابقين .

وجلس سائر الضباط الحاضرين إلى الموائد التي نثرت في القاعة
المجاورة ، وحانت من جلالته التفاته فلاحظ أن الخدم أسدلوا
الستائر التي تفصل بين القاعتين فأمر برفعها حالاً لنظّل القاعتان متصلتين
إحداهما بالأخرى وليشعر الجميع بأنهم جالسون في صعيد واحد
ولما جاءوا لجلالته بأول لون من ألوان الطعام سأل : هل هذا
الطعام هو طعام النادي المعتاد وهل هو الطعام الذى سيقدم
للحاضرين جميعاً ؟ فأجاب عطا الله باشا بالإيجاب وقال سعادته :
« إننا لم نستطع يا مولاي أن نحضر صنفاً زائداً غير الحساء »
فقال جلالته باسمياً : « ولذلك لم أتناوله » ولم يكن جلالته قد
ذاقه فعلاً

ثم التفت جلالته إلى الأميرالاي فهمى على بك سكرتير

النادى وقال له : « أوعوا تكونوا ناويين تاخذوا ثمن العشاء من الحاضرين الليلة إنهم جميعاً ضيوفى » فقال فهمى بك : « سمعاً وطاعة » فقال جلالتة مداعباً : « بس أوعوا تفضلوا ساكتين لغاية ما يدفعوا ثم تبلغوهم أنهم ضيوفى . . . »

وكانت هذه المداعبة اللطيفة فاتحة حديث اشترك فيه كثيرون من الذين نالوا شرف الجلوس إلى المائدة الملكية وقد دار جانب كبير من هذا الحديث على الرماية والصيد وعلى أنواع البندقيات القديمة والحديثة، فدهش الحاضرون جميعاً لمعلومات جلالتة الفنية عن هذه الأمور كلها ولا إحاطته بأشياء كثيرة لا يحيط بها غير الفنيين المتفرغين لها والاختصاصيين المطلعين على أمرارها

وكان جلالتة يسأل الفريق عطا الله باشا بين حين وآخر عن شؤون الجيش ولا سيما ما يتعلق برقاهية الجنود وراحتهم ولما انتهى العشاء عاد جلالتة إلى قاعة الاستقبال الكبرى ، وكأنما أراد أن يعزز الروح العائلى الذى ساد هذا الاجتماع فلم يجلس على الكرسي الكبير المخصص به فى النادى بل جلس على مقعد عادى ، وأذن للحاضرين فى الجلوس حوله ، ثم أقبل سائر الضباط ووقفوا عند مدخل القاعة لعدم وجود أماكن فيها لهم

جميعاً فلم يشأ جلالته أن يظلوا كذلك فقال لهم بروحه الديمقراطية العظيمة : « تعالوا ربعوا هنا » فأسرعوا وجلسوا على السجاد « متربعين » جماعات في ذلك الجو العائلي الذي أنشأه جلالته وأضفى عليه من فيض مكارمه روح البهجة والسرور

في تلك الساعة تذكرت صفحة قرأتها في كتب التاريخ عن ساكن الجنان المغفور له محمد علي باشا الكبير وكيف كان يطيب له من وقت لآخر أن يمضي السهرة في وسط ضباط جيشه في جو عائلي خال من المراسم والقيود التي يقتضيها مقامه وها هو ذا الفاروق يقتدى بجده الأكبر ويكتب إلى جنب تلك الصفحة المجيدة صفحة مجيدة جديدة

صفحة عنوانها « الملك في وسط جيشه »

الملك المعتز بجيشه ، الفخور به ، والجيش المعتز بمليكه ، المخلص

لذاته ، المتعلق بعرشه

واستمرت هذه الجلسة العائلية حتى الساعة الحادية عشرة ، وقد

مرت الساعتان كأنهما دقائق بما أسبغه الملك عليهما من صفاء ورعاية

ونهم جلالته فنهم الجميع ، فودعهم بقوله : « السلام عليكم

وإن شاء الله أراكم جميعاً بخير دائماً »

الفصل الخامس

غيرة جلالته على الدين وهو في الوقت
عينه يبرز ما في الإسلام من تسامح

رأينا في الفصل السابق أن جلالة الملك يريد أن يكون صلة
الاتصال بين ما يجب المحافظة عليه من تقاليد الماضي وما يجب
الأخذ به من التحول الاجتماعي الجديد

فأقول هنا إنه بينما قضى جلالته من جهة على كثير من التقاليد
البالية والتي كان محكوماً عليها بالزوال لأنها لم تعد تطابق روح
الزمان الذي نعيش فيه ، عمل من جهة أخرى لتعزيز التقاليد
التي يرى وجوب المحافظة عليها وفي مقدمتها كل ما يرفع من
شأن الدين ويعلى مقامه في النفوس

ففي معظم أيام الجمعة يخرج جلالته في موكب رسمي لتأدية
صلاة الجمعة في الجوامع التي يعينها بنفسه، وهو يختار عادة الجوامع
القديمة لأن ذهابه إليها يهيء لوزارة الأوقاف فرصة حسنة
لإصلاحها كما يهيء لمصلحة التنظيم ظرفاً ملائماً لترميم الطرق

المؤدية إليها ، وهذا عدا عشرات الجوامع التي وضع جلالته حجر الأساس في بنائها

و يصغى جلالته بعناية وخضوع تامين للخطب التي تلقى في المساجد التي يصلى فيها ، وهو في كل مرة يصافح الخطيب ويهدي إليه شالا نفيساً من الكشمير ، وقد حدث غير مرة أن عانق الخطيب وقبله بدافع من شعوره الديني الجميل .

ولما زار جلالته « اسنا » في أثناء رحلته الأخيرة إلى أعلى الصعيد ليتفقد حالة منكوبي الملاريا حرص على تأدية فريضة الجمعة في جامعها الكبير ، فسمى إليه أن الأعيان وخدمهم هم الذين سيدعون إلى الصلاة معه فأصدر أمره الكريم بأن تفتح أبواب الجامع للأغنياء والفقراء على السواء ، وبعد ما دخل جلالته الجامع وأخذ مكانه بجوار المنبر استمر الشعب في هتافه فلم يشأ جلالته أن يرتفع في تلك الساعة صوت باسم غير اسم الله عز وجل فأوفد أحد الضباط الياوران إلى خارج المسجد ليطلب من الجماهير المحتشدة في الطريق المؤدية إليه أن تكف عن الهتاف

ولم يكتف جلالته بتعزيز التقاليد التي تحيط الدين بكل ما يجب له من إجلال ، بل أنشأ من التقاليد الجديدة ما يصف

أصدق وصف ما يعمر به قلبه الكبير من إيمان عظيم ومنها تقليد الاستماع إلى الدروس الدينية التي يلقيها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فى خلال شهر رمضان المبارك ، ولكن لعل أعظمها شأنًا هو التقليد الذى أوجده فى شهر يناير سنة ١٩٤٢ لما أمر بأن يكون الاحتفال بالعام الهجرى الجديد احتفالاً دينياً عاماً وأن يكون له ما للأعياد الرسمية من مقام وجلال

وترسمت الحكومة رغبات جلالته فقررت أن يكون الاحتفال بهذا العيد احتفالاً رسمياً عاماً فى جميع بلاد المملكة ، فيطلق ٢١ مدفعاً فى العواصم والبنادر التى جرت المراسم بإطلاق المدافع فيها بمناسبة الأعياد الرسمية للدولة ، وتقام فى قاعدة كل محافظة وعاصمة كل مديرية حفلة دينية يرأسها المحافظ أو المدير ، وتكون هذه الحفلة فى أكبر مساجد المدينة حيث يلقي خطيب المسجد أو أحد حضرات العلماء حديثاً عن الهجرة النبوية ، وكذلك تقام أمثال هذه الحفلة فى كل مركز وقرية فيرأس المأمورون والعمد هذه الحفلات فى المساجد ، وتعهد وزارتي

الأوقاف إلى خطباء مساجدها في الأقاليم في التحدث إلى المحتفلين
عن هذه الذكرى التاريخية

وما كادت الرغبة الملكية السامية تذاع حتى بادرت جميع
الهيئات إلى تحقيقها فتعددت الاحتفالات بإحياء ذكرى الهجرة
النبوية الشريفة وفي مقدمتها الاحتفال الكبير الذي أقيم في
نادى ضباط الجيش

وكان سعادة الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا وزيراً
للأوقاف لما أنشأ جلالة الملك هذا التقليد التاريخي الجليل الشأن
فأفضى إلى الصحافة بالتصريح التالي :

« لا يمكن أن تقابل هذه السنة الحسنة الملكية إلا بأعظم
شكر من جميع المسلمين في أقطار العالم الإسلامي ، فقد كادت
السنة الهجرية لعدم اتصالها بشؤون الحياة المادية تمر بالناس غير
محسوس بها

وطبيعي أن تكون الحياة التي يحياها العالم الآن مغموراً
بالشهوات والمطامع والتنافس على أعراض الحياة الدنيا مبعدة
عن المعاني الروحية السامية

« والسنة الهجرية إنما هي رمز للتضحية بالنفس والمال لله وفي سبيل الله »

« ولم يكن العالم في حاجة إلى ما يذكره بالله وبالتضحية في سبيله أكثر مما هو اليوم فلا غرو أن يكون توجه حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول إلى إحياء ذكرى الهجرة النبوية الكريمة في يوم رأس السنة الهجرية مظهراً بالغ الدلالة على رغبة جلالاته في أن يحيي في قلوب الناس المعاني الدينية السامية التي تخفف من حدة المطامع الدنيوية وتسمو بالنفوس إلى المثل العليا التي صورها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة إلى المدينة مهاجراً في سبيل الله »

وفي كل عام يرأس جلالاته الاحتفال الكبير الذي يقام في عاصمة المملكة إحياء لذكرى المولد النبوي الشريف، وبعد ما يستمع إلى القصة النبوية الشريفة يعرض وحدات الجيش، ومما هو جدير بالذكر هنا أنه عند ما يحى ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء تلاوة القصة النبوية الجيدة يقف جلالاته إجلالاً لصاحب الذكرى وإكباراً فيحذو جميع الحاضرين حذوه

ولما بنيت مدينة الجيش في ضاحية « المأظة » أوعز جلالاته

إلى جهات الاختصاص بضرورة بناء جامع للجيش في مدينته ،
 فنفذت الرغبة الملكية وبنى الجامع وصلى فيه جلالته أول مرة
 في يوم ٥ من فبراير سنة ١٩٤٣ محاطاً بكبار الضباط
 العاملين والمتقاعدين

ولأن الملك فاروقاً قوى الإيمان ويعتز بدينه هذا الاعتزاز كله
 نراه من جهة أخرى يحرص حرصاً شديداً على إبراز ما ينطوي
 عليه الإسلام من روح التسامح مثبتاً أن هذا الدين يستطيع أن
 يعيش مع سائر الأديان في وفاق ووئام

ومن ذلك أنه لما كان جلalته يجوب الصحراء الشرقية في
 شهر يناير سنة ١٩٤٣ عرج على دير سيناء المعروف بدير
 « سانت كاترين » ولما انتهت زيارته له تفضل وتبرع للدير
 بأربعمائة جنيه ، فقابل الرهبان هذه المنحة بالشكر والدعاء وقال
 راهب منهم همساً : « هذا كرم من ملك المسلمين » فسمع الملك
 ذلك فالتفت إليه باسمياً وقال له : « إني ملك المصريين جميعاً »
 وعلقت يومئذ جريدة كبيرة على هذا الخبر بقولها : « فهنيئاً
 لمصر بملك صالح متدين هذا شعاره عند ما ينظر إلى جميع رعاياه
 على اختلاف أديانهم وطوائفهم فلا يهمله منهم سوى أنهم

مصريون فيشملهم جميعاً برعايته وعطفه ، فالدين لله والوطن
للجميع والملك للمصريين جميعاً »

وجلالة الملك بسيره على هذه السنة الحميدة يسير على سنن
جده الأكبر ساكن الجنان محمد علي باشا الكبير لا في مصر
وحدها بل في جميع البلدان التي امتد إليها حكمه في وقت ما ، حتى
إنه لما استرد جيوشه من سوريا كتب المسيو باتون قنصل
فرنسا إلى حكومته يقول : « إن حكم محمد علي كان العهد الذهبي
للمسيحيين في سوريا »

ومحمد علي باشا الكبير الذي وضع أسس هذه السياسة
الرشيدة البعيدة النظر هو محمد علي الذي أبي قبول ما عرضته
فرنسا عليه وهو أن تشترك معه في حملته على طرابلس والمغرب
الأقصى والجزائر في مقابل مساعدة عظيمة تسديها إليه في المال
والسفن والعتاد الحربي فقبل لها وهو يرفض اقتراحها : « إنه
لا يستعدى بلداً أجنبياً على مسلمين مثله »

ولكن محمد علي كان يرى من جهة أخرى أن عطفه على
المسيحيين لا يقلل من غيرته على دينه ، بل كان يرى في هذا
العطف مظهراً جميلاً لفضائل الإسلام ولما انطوى عليه من روح

التسامح والإنسانية ، فكفل للمسيحيين حقوقهم وحررياتهم وحقق لشعبه وحدة ما زال ينعم بها إلى الآن

وسار أبناءه وحفدته على سياسته فنجت مصر بحكمة هذه السياسة من مشكلة اسمها الأقلية أو الأقليات ، فلما انبثق فجر الحركة الوطنية رأينا الهلال يعانق الصليب فكان مظهراً من أروع مظاهر هذه الحركة المباركة ، وصورة من أبدع الصور لاتحاد العنصرين وتآلفهما في خدمة الوطن

وتفضل المغفور له الملك فؤاد فتوج هذه السياسة برعايته وتشجيعه ، فكان كل مصرى ينال من هذه الرعاية ومن هذا التشجيع ما يستحقه بغض النظر عن ديانته أو مذهبه

وما كاد المرحوم الأنبا يونس بطريرك القبط السابق ينتخب بطريركا حتى أهدى إليه الملك فؤاد صورته الكريمة ممضاة منه ، فكانت لفظة ملكية سامية تضمنت معاني كثيرة

ومن بواعث الغبطة والسرور أن تتجلى هذه الروح النبيلة في حفيد محمد علي الكبير وابن فؤاد العظيم ، وقد قابلت الطوائف المسيحية كلها ، فرحة ، جذلة ، ما قاله جلالته في دير سيناء بما يستحقه من تمجيد وتقدير ، لا لأن ما قاله جلالته كان مجهولا منها

بل لأنه جاء معزراً لما هو ماثور عنه فزادها ذلك غبطة وسروراً،
ففي الوقت الذي تلقى فيه الأديان ما تلقى في كثير من أنحاء أوربا
يقف ملك مسلم عظيم يحكم أكبر بلد إسلامي في الشرق العربي
فيقول : « إننى ملك المصريين جميعاً » فما أروعها عظة !

ولما تشرف نياقة المطران جوين مطران الإنجليكان في مصر
والسودان بمقابلة جلالة الملك فاروق في أواخر الصيف الماضي^(١)
بمناسبة عودته من الخرطوم جاء في سياق الحديث ذكر الكاتدرائية
الإنجليكانية في جهة قصر النيل بالقاهرة ، فنوه المطران الإنجليزى
بما لقيه مشروع إنشاء هذه الكاتدرائية من عطف المغفور له
الملك فؤاد وخصوصاً فيما يتعلق بنزول الحكومة عن الأرض
التي بنيت عليها

وبعد ذلك بأيام تشرف نياقة الدكتور جاربث رئيس أساقفة
يورك بمقابلة جلالة الملك بمناسبة مروره بمصر في طريق عودته
من روسيا وهو فوق مقامه الدينى العظيم فى انجلترا يعد من كبار
رجال الفكر والاجتماع فيها ، فأعجب الملك بحديثه كثيراً
وعلى أثر عودة رئيس أساقفة يورك إلى دار المطران جوين

وهي ملاصقة للكاتدرائية بلغهما أن جلالة الملك سيتفضل بزيارة
 وبناء الكاتدرائية ، فخفا إلى استقباله بما يليق بمقامه السامى
 ومعهما مطران بلومفنتين وكبار مساعديهما ، وقد أخذتهم روعة
 فكرة هذه الزيارة ونبيلها ، وكان بمعينة جلالته الدكتور
 حسين حسنى بك السكرتير الخاص

وطاف جلالته بأرجاء الكاتدرائية مبدياً اهتماماً بالناحية
 المعمارية والفنية في بنائها ، وباللوحات التذكارية التي زينت بها ،
 شأنه في كل ما يمت إلى العلم والفن بصلة

وبينا كان جلالته ينعم النظر في نواقذ البناء وقف أمام نافذتين
 منها طلعت قضبانهما وأجزاءها بلون البرونز ، ولكن جلالته
 لاحظ حالاً بما له من خبرة في هذه الأمور أنها ليست من البرونز ،
 فنقرها بيده فظهر أنها ليست من البرونز فعلاً ، وقال المطران
 جوين إنها ليست من البرونز حقيقة لأن ظروف الحرب حالت
 دون ذلك وكانوا يجلبونها من إنجلترا

ومضى جلالته في طوافه والدهشة آخذة من الجميع لدقة ملاحظته
 وبسرعة خاطره ، ولما انتهت الزيارة تفضل فشرب الشاي في

دار المطران مع المطران جوين ورئيس أساقفة يورك وسائر
كبار الحاضرين

وبينا كان جلالاته يهيم بالانصراف التفت إلى المطران جوين
وقال له إنه سيهدى إلى الكاتدرائية القصبان والأجزاء اللازمة
لتينك النافذتين وإنها ستصنع في مصر وبأيدى صناع مصريين،
فقابل نيافته ونيافة رئيس أساقفة يورك هذه الروح السمحة
والمنحة الكريمة بالشكر الجزيل

وقال المطران جوين إن هذا اليوم يوم تاريخي في حياته
وقال رئيس أساقفة يورك إنها أعظم تحية وجهت إليه
وانصرف جلالاته بعد ذلك مودعاً بمثل ما قوبل به من مظاهر
التجلة والاحترام . وفي الغد ذهب رئيس أساقفة يورك إلى
قصر عابدين وكتب اسمه في سجل التشريفات مكرراً شكره
وعظيم إعجابه بما تحلى به جلالاته من روح التسامح

وإن الذين زاروا كنيسة القديس بولس في روما يذكرون
حتماً أن أول شيء كان الدليل يحدثهم عنه هو أن الأعمدة الكبيرة
التي يشاهدونها عند بابها الداخلى هي هدية من ساكن الجنان
المغفور له محمد على باشا الكبير إلى البابا

وفي متحف الفاتيكان غير هدية واحدة أهداها محمد علي باشا
الكبير في مناسبات شتى إلى باباوات روما
وقد أراد منشىء مصر الحديثة بذلك أن يكشف للغرب
عما في الاسلام من روح التسامح وأن يعزز اطمئنان الأقليات
المسيحية إلى الحكم الإسلامى

فالملك فاروق بما عمله سار على نهج والده العظيم وأجداده
الأكرمين ، فقد أحيت الأسرة العلوية الكريمة سنن الخلفاء
الراشدين الذين كانوا يأمرون باصلاح كنائس رعاياهم وذكّرت
الناس بما أبداه صلاح الدين من تسامح كان الأوربيون أول
المشيدين به وهو التسامح الذى ظل شيمة العرب فى الأندلس
على منوال يذكره الاسبان إلى اليوم بالإعجاب والإكبار

ولا يضارع جمال هذا التسامح الدينى إلا ما يبدیه جلالاته
من تقدير للأجانب الذين يثبتون صداقتهم لمصر وولاءهم للبيت
المالك ويخدمون العلم خدمة صادقة منزهة عن كل غرض ذاتى
ولعل إنعام جلالاته على القاضى كراييتس الأميركى بوسام
اسماعيل من الطبقة الثانية بعد وفاته فى شهر اكتوبر الماضى

يبرز جمال هذه العاطفة أكثر من كل مثال آخر
فانه لما أصدر القاضى كراييتس كتابه عن المغفور له الخديو
اسماعيل باشا تبادر إلى الأذهان أن المغفور له الملك فؤاد هو الذى
كلفه الكتابة عن والده ، ولكن الحقيقة التى يعرفها المطلعون
تنقض ذلك نقضاً تاماً

فقد كان القاضى كراييتس يريد أن يؤلف كتاباً عن
الأميركيين الذين خدموا فى الجيش المصرى ، فاستأذن جلالة الملك
فؤاد فى الاطلاع على بعض المحفوظات الملكية فأذن له فى ذلك
وبينما كان يراجع تلك المحفوظات وقف على كتب كتبها
اسماعيل باشا إلى الجنرال غوردون يحثه فيها بالحاح على القضاء
على النخاسة فى السودان ، ورأى فى هذه الكتب حقائق كثيرة
كانت مجهولة عن اسماعيل باشا مع أنها كلها فى مصلحته فأوحت
إليه هذه الحقائق بأن يترك مؤقتاً موضوع الأميركيين الذين
خدموا فى الجيش المصرى ويتجه الى درس المجهول من
اسماعيل باشا على ضوء المحفوظات الملكية

وقال القاضى كراييتس لجلالة الملك فؤاد وهو يستأذنه فى
الاطلاع على الوثائق التى يحتاج إليها أنه سيدرسها كقاض فاذا

اعتقد أن اسماعيل باشا مظلوم فعلاً وضع كتاباً عنه بنتيجة
دراسته فأجابه جلالته إلى طلبه

وما كاد ينتهي من درس الوثائق التي طلبها حتى آمن بأن
أورجا افترت على اسماعيل باشا فعول على الكتابة عنه وقرر أن
يكون اسم الكتاب « اسماعيل المفترى عليه »

وعلى أثر ظهور الكتاب أراد المغفور له الملك فؤاد أن ينعم
عليه بوسام تقديرًا لشعوره ومجهوده فشكر لجلالته هذا العطف
السامي ورجا منه العدول عن هذه النية لئلا يقال إن الوسام
ثمن للكتاب

وللقاضي كرابيتس كتاب آخر عن « ابراهيم باشا » وكتابات
كثيرة عن مصر تدل على أنه كان صديقاً مخلصاً لها
وعلى أثر نشوب الحرب الحالية كتب بعض المجلات الغربية
كتابات تضمنت كثيراً من أنواع الافتراء ، فانبرى القاضي
كرابيتس للرد عليها من تلقاء نفسه بما ينم على ما كان يكنه
من إخلاص شديد للبيت المال الكريم ولصاحب العرش
العظيم ، فكان لتلك الكتابات وقع كبير في نفس كل من اطلع عليها
وفي أواخر سنة ١٩٤٣ مر جنابه بمصر في طريقه إلى بغداد

واضحاً نشاطه وعلمه وخبرته تحت تصرف حكومته فوافته المنية فيها فقبول نعيه بأسف شديد من جميع أصدقائه المصريين وكان الملك فاروق في مقدمة الذين تأثروا لوفاة فتفضل وأبرق إلى أسرة الفقيد معزياً ومواسياً وأصدر أمره بأن يضع القائم بأعمال المفوضية المصرية ببغداد إكليلاً كبيراً من الورد باسم جلالاته على ضريح الراحل الكريم ، ولم يكتف جلالاته بذلك بل أنعم على الفقيد بوسام اسماعيل فحققت هذه اللقطة الملكية السامية رغبة كان المغفور له الملك فؤاد يريد تحقيقها وأظهرت ما ينطوى عليه قلب جلالاته من تقدير ووفاء لكل من يحب مصر ويخلص لها ولعرشها وليس بين محبي آثار القاهرة الاسلامية من يجهل اسم المسر ديفونشاير فقد كتبت عنها عدة كتب نفيسة باللغتين الفرنسية والانجليزية ، وهي منذ الحرب العظمى الماضية تنظم جولات أسبوعية لضيوف مصر الأجانب فتطوف بهم أشهر تلك الآثار باسطة لهم كل ما يجب أن يعرفوه عنها ، وهذا عدا بحوثها في المجالات العلمية وفي الجمع العلمي المصري ، وكان المغفور له الملك فؤاد يقدر علمها ونشاطها حق قدرهما ويستقبلها مرتين في السنة ويصغي

باهتمام إلى اقتراحاتها عما يحسن عمله لصون تلك الآثار
والمحافظة عليها

وفي اليوم الخامس من شهر أبريل الماضي احتفلت المسر
ديفونشاير ببلوغها الثمانين ، وبينما كانت جالسة في دارها تطالع
برقيات التهئة التي تلقتها من عارفي فضلها الكثيرين طرق باب
الدار رسول من قصر عابدين ومعه كتاب من معالي
أحمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي يهنئها فيه بعيدها
ويبلغها أن جلالة الملك تفضل لهذه المناسبة فأنعم عليها بوسام
الكمال من الطبقة الثالثة تقديراً لخدماتها لمصر ما يقرب من
نصف قرن

وقد جاء هذا الانعام دليلاً جديداً على أن جلالته في تقديره
للذين يخدمون مصر لا يعرف للعلم وطناً ، وقابله الدوائر العلمية
بمزيد من الغبطة والارتياح للمعنى السامي الذي دل عليه

الفصل السادس

عطف جلالته على الطبقات العاملة
والصغيرة والمحرومة

قص على مرة المغفور له الدكتور محمد شاهين باشا^(١) أن عطف الفاروق على القائمين بخدمته وبره بهم تجلياً فيه منذ ما كان طفلاً ، فقد كان جلالته يطلب باستمرار نقوداً من مربيته فأرادت يوماً أن تعرف أين تذهب هذه النقود فاتضح لها أنه يوزعها على حارسه وعلى العمال الذين يلتقي بهم في حدائق القصر ليشتروا بها حوى لأولادهم !

وسمعت مرة أخرى من أحد ضباط الياوران أن جلالته كان يتنزه يوماً وهو صبي على صهوة جواده في مكان قريب من قصر القبة فدنا منه شحاذ طاعن في السن مستجدياً فطلب منه أن يقابله في الغد في المكان عينه ، فلما كان الغد ذهب جلالته إلى المكان الذي كان الفقير ينتظره فيه وأعطاه ما كان متوفراً عنده من نقود

(١) وكان الطبيب الخاص للحضرة العلية الملكية

وبعد ما نودي بجلالته كشافاً أعظم^(١) بملء قصيرة دعتة بعض
 فرق الكشافة إلى تشریف حفلة ساهرة تقيمها في معسكرها ، ولما
 انتهت الحفلة وینما كان « سموه » عائداً إلى القصر العامر بالسيارة
 الملكية وبعيته سعادة محمد زكي الابراشي باشا ناظر الخاصة الملكية
 إذ ذاك التفت « سموه » إلى سعادته وقال له : « أنا مسرور
 جداً من هذه الحفلة ومما رأيته فيها »

فقال زكي باشا : « الحمد لله يا افندينا فانه يهمننا جميعاً أن تكون
 دائماً مسروراً »

فقال الأمير فاروق : « ولكن لا يكفي أن أكون أنا مسروراً
 بل أريد أن أرى الأولاد الذين اشتركوا في هذه الحفلة مسرورين
 كذلك ، فماذا أستطيع أن أعمل لهم ؟ »

فقال زكي باشا : « ما يعمل جلاله الوالد »

فقال الأمير فاروق : « وماذا يعمل والدي ؟ »

قال زكي باشا : « يشتري جلالته سنداً من سندات الدين
 الموحد ويهديه إليهم فيكون ريعه السنوي مكافأة لمن يفوز منهم
 بالجائزة الأولى »

(١) وكان جلالته يلقب يومئذ بأمر الصعيد

فقال الأمير فاروق على الفور : « أرجو إذن يا زكى باشا أن
تشتري لى سنداً فأهديه إليهم »
فقال زكى باشا : « حاضر يا أفندينا »

وقبل أن يكمل سعادته عبارته قال له الأمير : « ولكنى أريد
منك أن تشتري هذا السند من مالى الخاص فاذا لم يوافق
والدى على ذلك فاشتره من مصروف جيبى وقسط على ثمنه »
ولكى تقدر هذه الرغبة وما انطوت عليه من عاطفة سامية
عظيمة تقديراً صحيحاً لا بد أن أوضح هنا لماذا قال الأمير فاروق
اشتروا السند « من مالى الخاص »

قال ذلك لأن كل ما كان ينفق على سموه لم يكن من ماله
الخاص بل كان ينفق من حساب جلالة والده تنفيذاً لأمر جلالته
وهو أن لا يمس مال ولى عهده بتاتاً

وكان الأمير فاروق يعلم ذلك ولذا قال اشتروه « من مالى
الخاص » فقد أراد أن يشعر بلذة الجود فأصر على أخذ ثمن
السند من ماله الخاص وإلا فليؤخذ من مصروف جيبه ثم
يسدده أقساطاً ! . . .

وعرضت هذه الرغبة يومئذ على جلالة الملك فؤاد ففرح بها

فرحاً عظيماً وأمر بتحقيقها فوراً طبقاً لمشئته ولى عهده
وإن من يرجع إلى دفاتر حسابات جلالة الملك فاروق في
الخاصة الملكية يجد أن أول مبلغ أمر باتفاقه هو ٩٢ جنيهاً ثمن
ذلك السند

وكان جلالاته يومئذ في الثانية عشرة من عمره ، وبذلك
يكون قد أُنقِ أول مبلغ من المال في وجه من وجوه البر والخير
كان هم الأول بعد حضور تلك الحفلة ألا يكون هو وحده
الذى يفرح بل أراد أن يفرح جميع الأولاد الذين اشتركوا فيها
غير مكثف بالفرح الذى شعروا به لما رأوه يشرف معسكرهم
ونما جلالاته ونما معه هذا الشعور وهذه العاطفة . شعور التفكير
في غيره ، وعاطفة البر والخير

وما كاد يعتلى العرش حتى تجلى للبلاد من أقصاها إلى أقصاها
أن الشعب كله هو محور تفكيره وأن تفكيره الأول قائم على
البر والخير

وشعر الفقراء والضعفاء أن الملك يبر بهم ويعطف عليهم
وشعر العمال وصغار الموظفين أن الملك يبر بهم ويعطف عليهم
وتجلى ذلك كله بأجلى مظاهره منذ نشوب الحرب بوجه خاص،

فكان أول ما عمله جلالتة أن وجه الكيفية التي تحتفل بها البلاد — حكومة وشعباً — بالأعياد الملكية توجيهاً جديداً جاء مصدقاً لمقدار حذبه الشديد على الطبقات الفقيرة ، فأمر بإلغاء الزينات والحفلات على أن يذهب المال الذي تكلفه إلى الفقراء تخفيفاً لضائقتهم ومساعدة لهم في شدتهم

ومضى جلالتة في هذا التوجيه النبيل السامى في كل مناسبة سنحت له ، فلم يلبث أن بث في البلاد روحاً جديدة في معاملة الطبقات الفقيرة ، وما مشروع « يوم المستشفيات » الجليل سوى أحد مظاهر هذه الروح التي قابلها الناس بمزيد من الاغتراب والسرور ، فعملوا أفراداً وجماعات على تحقيق الرغبة الملكية فعمت مصر هذه الموجه الجميلة المشاهدة الآن من العطف على الفقراء والبر بهم

وكانت التقاليد قد جرت قبل الحرب على أن تؤدب في القصر الملكي في شهر رمضان المبارك مآدب إفطار متعددة لأمرآة البلاد وعلمائها ووزرائها وأقطابها وأعيانها ، فلما جاءت الحرب أمر جلالتة بإلغاء هذه المآدب على أن تحمل محلها مآدب تؤدب في القاهرة وفي سائر مدن الملكة وأرجائها للفقراء والمعوزين على

حساب الجيب الخاضع للملكى طول مدة شهر الصوم المبارك ،
 فقبل أن يحل شهر رمضان بأيام يذهب المحافظون والمديرون
 إلى قصر عابدين ويتسلمون من معالى رئيس الديوان العالى
 الاعتمادات المالية اللازمة لهذه المآدب مع رجاء من جلالة الملك
 بأن يعدوا الفقراء الذين يدعون إليها « ضيوف جلالته » وأن
 يبالغوا فى إكرامهم والعناية بهم

ولما حل شهر رمضان المبارك فى سنة ١٩٤١ أصدر جلالته
 أمره الكريم بدعوة جميع موظفى القصر على اختلاف درجاتهم
 إلى الإفطار على المائدة الملكية ، وتفضل فأذن للذين ليس عندهم
 « رديجوت » بالحضور بالملابس العادية فبلغ عدد المدعوين أكثر
 من ٤٥٠ موظفاً شملهم جلالته جميعاً بعطفه ورعايته

وكانت هذه أول مرة يدعى فيها جميع موظفى القصر إلى المائدة
 الملكية ، أو بعبارة أوضح كانت هذه أول مرة يدعى فيها غير
 كبار رجال القصر إلى المائدة الملكية . ومما جدير بالذكر هنا
 أنه لما أصدر جلالته نطقه الكريم بذلك قال لمن كان فى حضرته
 من كبار رجال القصر : « أتم كبار رجال القصر تشهدون

جميع المآدب التي تؤدب في القصر، ولكنى أريد أن يكون الذين يجيئون بعدكم هم ضيوفى هذه المرة فيشعر كل موظف فى القصر مهما صغرت درجته أن له فى ذلك نصيباً»

ومن ينعم النظر فى هذه اللفتة الملكية السامية يدرك ما انطوت عليه من معنى نبيل، فالمسألة ليست مسألة مادية تؤدب ويدعى إليها ٤٥٠ موظفاً ثم ينتهى الأمر بذلك، ولكن المغزى الذى قصده جلالاته هو الذى يجب أن يستوقف نظرنا فى هذه المأدبة، وعندئذ يتبين لنا أن هذه الدعوة كانت فى الحقيقة مظهراً لروح يريد جلالة الملك أن تكون الروح التى تسود علاقات الرؤساء بالمرؤوسين، وهنا تظهر أهمية المأدبة التى أنوه بها فى هذا المقام تنويرها خاصاً، فقد كانت هذه المأدبة درساً اتجه به جلالاته إلى رجال الحكم وإلى رجال الأعمال بأن يذكروا الموظف الصغير ولا يغفلوه، وخصوصاً فى الظروف الحاضرة وقد قست عليه مقتضيات المعيشة

إن جلالة الملك أراد بتلك الدعوة وبقوله إنه يجب أن يشعر كل موظف مهما صغرت درجته أن له من عطفه نصيباً أن يرسم للرؤساء ما عليهم من واجب لمرؤوسيهـم، ويوحى إليهم

في درس صامت بأن البر بصغار الموظفين من الأمور التي تهتم
جلالته وترضيه

وفي الوقت عينه أمر جلالته الخاصة الملكية بتوزيع مبالغ
من المال على العائلات التي أخني عليها الدهر، فلا يمر عيد الفطر
المبارك من غير أن تشعر هذه العائلات به، وأمر كذلك بتوزيع
مبالغ أخرى من المال على كل بيت فقير في القاهرة وفي الأقاليم
لا يستطيع أهله أن يستقبلوا العيد بما يستقبله به الناس عادة
وكان ذلك درسا آخر يلقيه جلالته على الأغنياء والموسرين،
فقد أراد أن يذكرهم بالواجب الإنساني الذي عليهم للمحرومين
والمعوزين فيبذل كل غنى وكل من أنعم الله عليه ببسطة من الرزق
ما يستطيع بذله بمناسبة العيد لكي يعم الفرح بالعيد أكبر عدد
من البيوت يستطيع تعميمه فيها، فلا يكون هو وحده الذي يشعر
ببهجة العيد، ولا يكون هو وحده الذي يأكل ويشبع، ولا يكون
هو وحده الذي يلبس ويتمتع

وفي آخر شهر أكتوبر سنة ١٩٤١ كانت شؤون التموين
تشغل البلاد الشاغل وخصوصاً فيما يتعلق بالحبوب فقرر دولة

حسين سرى باشا رئيس مجلس الوزراء إذ ذاك أن يعقد جلسة^(١) خاصة يبحث هذا الموضوع الخطير من جميع نواحيه
 وبينما كان مجلس الوزراء مجتمعاً وصل جلالة الملك إلى دار
 رئاسة مجلس الوزراء بسيارة خاصة وبعييته معالي أحمد محمد
 حسنين باشا رئيس الديوان الملكي وكان قدوم جلالاته مفاجئاً
 ودخل الملك ومعه حسنين باشا حجرة رئيس الوزراء المجاورة
 لقاعة اجتماع المجلس ولما علم دولة حسين سرى باشا بقدوم جلالاته
 خف لاستقباله ثم شرف جلالاته قاعة اجتماع المجلس وترأسه
 وفي الساعة الواحدة بعد الظهر أرفض اجتماع مجلس الوزراء
 وعلى أثر إرفضاضه وانصراف جلالة الملك من دار الرئاسة أفضى
 دولة حسين سرى باشا إلى الصحفيين بتصريح قال فيه : لما اطلع
 جلالة الملك على جدول أعمال مجلس الوزراء ورأى أن شئون
 التموين في مقدمة الشئون الهامة التي ينظرها المجلس في اجتماع اليوم
 قرر جلالاته أن يرأس الاجتماع بنفسه ولما دخل على الوزراء قال
 لهم : « جئت إليكم لأعمل معكم » ثم مضى جلالاته في حديثه فقال :
 « ابحثوا ما تريدون بحثه واقترحوا ما ترومون اقتراحه وتناقشوا

فما تودون المناقشة فيه وقرروا ما ترون أن المصلحة العامة تقضى
 بتقريره — هذا كله أتركه لكم، ولكن الذى أريده منكم جميعاً
 أن تضعوه نصب عيونكم وأن تجعلوه موضوع اهتمامكم وتفكيركم
 وبحسبكم وقراراتكم هو أنه من العار أن تكون مصر بلاداً زراعية
 قبل كل شئ وأن لا تستطيع أن تكفى نفسها بنفسها فى قوتها
 الضرورى فجميع الجهود يجب أن تتجه إلى معالجة هذه الحالة
 وإلى بذل أقصى ما يمكن بذله لتوفير القوت لجميع طبقات الشعب
 وخير لمصر أن يشبع أهلها بثمرات أرضهم من المواد الغذائية
 وأن يأمن الفقراء فيها غائلة الجوع من أن يزيد محصول القطن
 أملاً فى ربح مشكوك فيه ولا ينجأنى شك فى أن وطنية الزراع
 تأبى أن يجوع أهل البلاد فى سبيل الحصول على ثمن مرتفع
 للقطن فى يوم من الأيام »

ولا ريب فى أن يوم الأربعاء ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤١
 سيظل يوماً تاريخياً أولاً بترؤس جلالة الملك لاجتماع مجلس
 الوزراء لأول مرة فى عهده وثانياً بتشريفه لدار رئاسة مجلس
 الوزراء إذ كانت هذه أول مرة يذهب فيها الجالس على العرش
 إلى تلك الدار ولمثل الغرض النبيل الذى ذهب جلالته إليها من

أجله ، فإن اليوم الذى يذهب فيه ملك البلاد إلى رئاسة مجلس الوزراء بنفسه ويقول لوزرائه لقد جئت إليكم لأعمل معكم فى سبيل رفاهية الشعب — ليوم تاريخى حقيقة

وقد أراد جلالته بالنطق السامى الذى وجهه إلى الوزراء أن تنفذ أقواله إلى ذهن كل زارع سواء أكان كبيراً أم صغيراً فيعلم أن عليه فى أثناء الحرب واجباً قومياً لا مندوحة له عن تأديته وهو واجب زرع أكبر كمية يستطيع زرعها من الحبوب ، وقد كان تفكير جلالته وهو يوصى بما أوصى به متجهاً قبل كل شىء إلى الطبقات العاملة والفقيرة ، وكأنما جلالته بقوله « ولا يخالجنى شك فى أن وطنية الزراع تأبى أن يجوع أهل البلاد فى سبيل الحصول على ثمن مرتفع للقطن يوماً من الأيام » قد أراد أن يقول إن تلك الطبقات يجب أن تأكل كفايتها . . . يجب أن تعيش لأنه على أكتافها قامت مصر ولأنه بسواعدها تزداد ثروة مصر! ورأى مجلس الوزراء أن يخلد ذكرى ذلك اليوم التاريخى العظيم فقرر أن تثبت على المكان الذى جلس فيه جلالته ليرأس الاجتماع لوحة ينقش عليها « إنه فى يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤١ شرف حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول رئاسة مجلس

الوزراء ورأس اجتماع مجلس الوزراء لأول مرة » وقد صنعت هذه اللوحة وثبتت فعلاً في مكانها
وإذا كانت اللوحة لا تذكر السبب الذي من أجله ذهب
الفاروق إلى رياضة مجلس الوزراء فإن الشعب يذكره !

وهل يستطيع كاتب أن يكتب عن بر الفاروق بشعبه وعطفه
على الفقراء والبائسين دون أن يتحدث عن الرحلة العظيمة التي
رحلها في شهر فبراير الماضي إلى أعلى الصعيد وكيف قضى يوم
١١ فبراير ، يوم عيد ميلاده السعيد ، بين المرضى والمنكوبين
وقد كان ملايين من الناس يسألون قبل العيد بيوم : ترى
كيف يقضى الملك عيده غداً ؟

قال بعضهم : لا بد أنه ستولم في قصر عابدين وليلة ملكية
فاخرة ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة فيشهدها أعضاء الأسرة
العلوية الجليلة

وقال بعض آخر : أتكون الوليمة وليلة غداء أم وليلة عشاء ؟
من المحقق أنها ستكون وليلة عشاء فتتلاً آلاف من المصاييح
الكهربائية وتعكس أنوارها على رياش القصر الغالية البهية

وقال فريق ثالث : والغداء ؟ الأرجح أن يكون الغداء غداء غير رسمي فيغتتم الملك فرصة عيد ميلاده ليستريح من عناء مهامه المتعددة، بينما تكون موسيقى الحرس تعزف في ساحة القصر وقال فريق رابع : ألا يخرج الملك في يوم عيد ميلاده متنزهاً؟... لقد رأينا اليخت « قاصد خير » راسياً في الجزيرة فلا يستبعد أن يكون جلالته عازماً على القيام بنزهة نيلية

وكذلك تعددت الآراء في كيف يقضى المليك يوم عيد ميلاده وكان للخيال نصيب كبير في تصوير ذلك كله .

وبينما كانت هذه الآراء تتردد في المجالس العامة والخاصة كان الملك في طريقه إلى أعلى الصعيد في زيارة مفاجئة بعيدة عن جميع المراسم الرسمية

فقد أراد أن يقضى عيده في زيارة الجهات التي انتشرت الملاريا فيها ليتفقد الحالة بنفسه وليقف بشخصه على التدابير التي اتخذت لإسعاف فقراء الأهلين وإعانتهم

آثر جلالته ذلك على مظاهر العيد، وعلى أبهة ولائم القصور، وعلى فخخة المراسم التقليدية

ولما قالوا له : وكيف يستهدف الملك لخطر المرض ؟ رد عليهم :

بابتسامة المؤمن المتوكل على ربه وقال : « هذا جزء من شعبي العزيز فكيف لا أسعى إليه »

كيف لا يسعى إليه وهو المصري الأول

وكيف لا يسعى إليه وقد آلى على نفسه منذ ما تسلم العرش أن يكون مع شعبه في كل وقت وفي كل مناسبة

بل كيف لا يسعى إلى الصعيد وقد كان « أمير الصعيد » قبل أن يكون ملك مصر !

وأتيح لي أن أتشرف بمرافقة ركاب جلالته في هذه الرحلة مع بعض الزملاء فرأيناه يزور القرى في يوم عيده ويحادث الفقراء في أكواخهم والمرضى في دساكرهم حتى إذا عاد إلى الاستراحة الملكية سمعناه يقول : « إن هذا اليوم من أجمل الأيام التي احتفلت فيها بعيد ميلادي »

وكنا قبل ذلك بقليل قد سمعناه في خلال طوافه يقول : « إن كل مساعدة تُسدى إلى الفلاح هي مساعدة تُسدى إلى »

وأبصرناه يطرق باب كوخ فتقول سيدة عجوز : من الطارق ؟ فيقول لها : « أنا فاروق جئت مستفسراً عن حالك » . وشاهدناه وهو يربت على أكتاف الأطفال بعطف وحنان وقد أمسك

طفل بملايس جلالته فصاحت أمه قائلة : « ده الملك يا محمود »
وهي لا تصدق عينيها ، ثم خاطبت جلالته قائلة : « كنا عيانين
ودلوقتي شفيننا وكنا جعانين ودلوقتي شبعنا »

وفي كل مكان زاره جلالته كان يذوق طعام الفقراء والمرضى
ليتأكد من جودته

ولم يشأ جلالته أن يبرغ فجر يوم عيد ميلاده من دون أن
يكون لفقراء مديرتي أسوان وقنا نصيبهم من بهجة العيد ،
فسمعه يقول ليلة العيد لسعادة مراد محسن باشا ناظر الخاصة
الملكية إنه يتبرع لهم بعشرة آلاف جنيه

وفي اللحظة عينها تبرع جلالته بألف جنيه « ليوم المستشفيات »
وفي اللحظة عينها كذلك عرفنا أن الملك تبرع بعشرة آلاف
جنيه للمسجد الذي سيبني في لندن

وأمر جلالته بوضع أحد المنازل الكبيرة في التفتيش الملكي
في المطاعنة تحت تصرف سيدات الهلال الأحمر ليستعملنه في
عملهن الإنساني وذلك إلى جنب العيادة الخارجية المجانية
الموجودة في التفتيش

وقال لسيدات الهلال الأحمر في إسنا ولسيدات مبرة محمد علي

في الأقصر إنه يقدر جهادهن وتضحياتهن ويشكرهن عليها ،
 وشملهن جلالته بمظاهر عطفه فدعاهن إلى المائدة الملكية ، وركبت
 كبيرتهن في إسنا وفي الأقصر في سيارة جلالته دلالة على
 ما للعاملين والعاملات في سبيل الفقراء من منزلة عنده

وكان جلالته واقفاً على شرفة فندق « ونتر بالاس » في
 الأقصر قبيل انتهاء الزيارة الملكية لها حين مرت مظاهرة كبيرة
 من الأهلين وهم يهتفون : « يحيا الملك منقذ الصعيد »
 وأبرقت عينا جلالته !

فكانت صورة من أجمل الصور لعظمة العرش الحقيقية ...
 شعور الشعب بأن الملك له ، وشعور الملك بأن الشعب له !

الفصل السابع

الملك الرياضى
وروح جلالته الرياضية

فى يوم الأحد ١٤ من فبراير الماضى أقيمت بالقاهرة أول مباراة
دولية فى الرماية

وكان معروفاً أن جلالة الملك سيشترك فيها . . . ولكن الدوائر
الرياضية كانت تعلم يوم السبت ما تعلمه مصر كلها وهو أن
جلالته لا يزال فى أعلى الصعيد يتفقد حالة منكوبى الملا ريا
فتساءلت كيف يتسنى له أن يشهد المباراة وظن كثيرون أن
جلالته عدل عن الاشتراك فيها .

أما جلالته فكان حريصاً على حضور المباراة بدافع من روحه
الرياضية العظيمة ، ولا سيما أنها المباراة الأولى من نوعها فى مصر
وسيشترك فيها ٩ فرق مصرية وأجنبية فتكون دعاية طيبة لمصر ،
وكل شىء ينهض بسمعة مصر يهتم جلالته ويتبوأ المكان الأول
من عنايته

فلم يكن من جلالته إلا أن غادر الأقصر في مساء السبت
فبلغ القاهرة في الساعة الثانية من صباح الأحد

وفي الساعة التاسعة والنصف — أي بعد ذلك بسبع ساعات —
وقفت سيارة عسكرية صغيرة (جيب) عند مدخل ميدان المباراة
ولما نزل سائقها منها تبين للحاضرين أنه جلالة الملك ، وكان
مرتدياً بذلة الميدان للسلاح الجوي وقد امتلاً قوة ونشاطاً
مع أنه قادم من رحلة شاقة وأنه قضى معظم ساعات الليل في سفر ،
ثم لم ينم بعد ذلك على ما علمنا

وخف كبار الحاضرين إلى استقباله فصاحفهم جميعاً مغتبطاً ،
ثم تناول بندقيته ووضعها على كتفه وسار إلى المكان الذي يضع
فيه المتبارون بندقياتهم بجوار هيئة التحكيم لا فرق بينه وبين
سائر الرماة المتبارين

واطلع جلالته على النظام الذي وضع لتسجيل الدرجات التي
يحوزها المتبارون ، وكان جلالته يعرف معظمهم فكان إذا التقى
بأحدهم بادره بالتحية باسمًا وسأله عن حاله وقال له إنه مسرور
بلقاءه ، ثم يحادثه ملياً في شؤون المباراة وتفصيلاتها
وكذلك كان جلالته في خلال كل « فترة استراحة » يطوف

بالحاضرين متنقلا من جماعة إلى أخرى فيضفى عليها من روحه
 الرياضية العالية ما يبهر الضيوف الأجانب ، وازدادت دهشتهم
 لما سمعوه يتحدث عن البندقية وأصول ضرب النار ، وعن السلاح
 بوجه عام ، حديث المطلع الخبير المحيط بأسرار الموضوع الذى
 يتحدث عنه . . . إن هو ليس ملكاً يحمل البندقية ليتسلى فترة
 من الوقت ، أو ملكا لا يعرف من البندقية إلا كيفية
 استعمالها . . . كلا بل رأوا فيه ملكاً يناقش أشهر خبراءهم
 الحاضرين فى أدق دخائل البندقية وأسرارها ويذكر ما بين أنواع
 البندقيات من فوارق فنية دقيقة لا يعرفها سوى الخبراء
 الاختصاصيين . . . ومع ذلك فهو دائماً شديد الرغبة فى الاستزادة
 مما يعرفه ، فها هو ذا يحمل بندقيته ويتجه بها إلى مكان وقوف
 مدرب الفرقة الأميركية فيستوثق من أمر عن له ، ويدور الحديث
 بينهما طويلاً . . . هذا ملك وذاك شاويش . . . ولكن كليهما
 الآن رياضى فى حلبة رياضية واحدة . . . فلا غضاضة على الملك
 إذا حدث الشاويش واستأنس بآرائه . . . إنه بذلك يقيم من
 نفسه قدوة فى سمو الروح الرياضية ، وفيما يجب أن تكون عليه
 أخلاق الرياضيين الحقيقية

وجاء دور جلالته في التمرينات فانبطح على الأرض مع سائر
 المتبارين جنباً إلى جنب وأطلق بندقيته ، ولما انتهى دوره أقبل
 عليه بعض الرماة يهنئونه بمهارته مع أنه لم يتمرن في المدة
 الأخيرة بسبب كثرة مهامه ، وفي تلك الأثناء كان مدرب
 الفرقة الأميركية يقول لى : « إني أعتقد أن جلالته أكبر خبير
 في السلاح في مصر ، وفي كل مرة يحدثنى عن شؤون البندقية
 أشعر أننى أمام ممتحن خبير لا يقنع بالردود السطحية » وفعلاً
 أقبل عليه جلالته بعد قليل وقال له : « لقد قلت لى كذا لما سألتك
 عن كذا فهل لك أن ترينى ذلك عملياً » واتجها معاً إلى مكان
 المباراة ولم يغادره جلالته إلا بعد ما استوفى جميع أجزاء حديثه
 الفنى من الناحية العملية

وأزف موعد الغداء وكان الحرس الملكى قد أعد « بوفيهًا »
 فى خيام نصبت لهذا الغرض ، وسمعت أحد المراسلين
 الأجانب يقول لزميله « أعتقد أن الملك سيأكل معنا فى هذه
 الخيام ؟ » فقال الآخر : « سنرى » فلما دخلا الخيام أبصرا
 جلالته واقفاً يأكل من الشطائر « السندوتش » أسوة بالحاضرين
 جميعاً ، فلا مكان خاص ، ولا مائدة خاصة ، ولا مكان له وحده ،

ولا طعام خاص به ، ولا أوان من القصر ، فقال المراسل الأول
لزميله « إنه حقيقة رياضي عظيم »

وبعد الغداء بدأ التمرين الثالث في « الضرب الخاطف »
فاشترك فيه جلالاته كذلك ولشد ما كانت دهشة الحاضرين لما
أصاب جلالاته الهدف خمس مرات من ست فصفقوا إعجاباً

ولما انتهت المباراة ألقى ضابط أميركي كلمة حيا بها الملك
وروحه الديمقراطية والرياضية العظيمة ، وأراد المصورون أن
يصوروا جلالاته متوسطاً أعضاء الفريق المصري الذي اشترك في
المباراة فقال جلالاته لأعضائه « اقتربوا بعضكم من بعض لكي
نظهر جميعاً في هذه الصورة التذكارية » فكانت هذه التحية
التي وجهها إليهم جلالاته بروحه الرياضية الجميلة أعظم مكافأة لهم
على ما بذلوه من جهد فنجحت المباراة نجاحاً عظيماً وكانت دعاية
حسنة لمصر بين أعضاء تسع فرق يمثلون جنسيات متعددة وبين
أصدقائهم

وكان الملك ، وهو المصري الأول ، أول المغتربين بهذه
النتيجة فقال للأميرالاي أحمد سالم بك قائد الحرس الملكي وهو
يصاحبه : « مبروك فقد كانت المباراة موفقة »

ثم لوح جلالته بيده الكريمة لجميع الحاضرين مسلماً وركب
سيارته وانطلق بها عائداً إلى قصر عابدين العابر . . . وكانت
الساعة قد جاوزت الرابعة بعد الظهر !

وقد نشأ الفاروق مولعاً بالرياضة منذ حداثة فهو يسبح
بمهارة ، ويجيد الملاكمة ، ولعب التنس ، والسيف ، وقد شغف
أخيراً بلعبة الـ (Quilles) — من ألعاب الرماية — فبرع فيها
ودربه المغفور له والده على ركوب الخيل وهو لا يزال حدثاً
فغداً على مر الأيام فارساً مغواراً وهو إلى جنب ذلك صياد ماهر
وقد أشرت في فصل سابق إلى آثار صيده في المتحف الذي
أنشأه في المزارع الملكية في أنشاص فحسبي هنا أن أقول إن في
تلك الآثار وحدها ما ينم على براعته في الصيد وعندما يخرج
جلالته لصيد البط ويحصى أعضاء جماعته عدد الطيور التي وفقوا
إلى صيدها فلا بد أن يكون جلالته في الطبيعة دائماً

وقد سمعت جلالته يقول إنه تعلم سوق السيارة وهو في
السابعة من عمره ، واشترى في أواخر السنة الماضية يختاً خاصاً
سماه « فخر البحار » وهو الآن يقوده بنفسه وقد أحب جلالته

هذا الضرب الجديد من الرياضة وأولع به ولا سيما أنه لا يشكو دواراً مهما يكن الجورديتاً والعاصفة شديدة

والنهضة الرياضية في البلاد نصيب كبير من عطفه وتشجيعه وهو يحرص على شهود المباريات الكبيرة تعزيزاً للروح الرياضية بين شباب البلاد ولا سيما إذا كانت المباريات بين وحدات عسكرية فيحضرها بنفسه ويتتبع مراحلها باهتمام عظيم ثم يوزع بيده الكريمة الجوائز على الفائزين وقد استن جلالته تقليداً جديداً للحفلات الرياضية التي يشرفها بحضوره وهو أن يلبس الذين يتشرفون بالجلوس في مقصورته الملابس العادية بدلاً من الملابس الرسمية

ويعرف جلالته كبار الرياضيين في مصر معرفة شخصية ولبعض منهم منزلة خاصة عنده ، وهم أول من يعلم أنه لم يقم في البلاد مشروع رياضي يستحق التشجيع إلا كان جلالته في مقدمة مؤيديه ، وهو في الرياضة لا يعرف غير الرياضة ، وعنده أن الرياضة كالعلم والإنسانية ليس لها وطن ، وكثيراً ما يتردد جلالته على النادي السويسري للرمية ويشترك مع أعضائه في تمارينهم أو في مبارياتهم ، وفي شهر إبريل الماضي افتتح جلالته ميدان

الرماية الجديد الذى أنشأه فرع الاسكندرية للنادى السويسرى
على الأرض التى أهداها إليه جلالته

وهذا عدا تشجيعه للأندية الرياضية بهباته المالية المتواصلة ،
و يشرف جلالته كل سنة الحفلة السنوية الساهرة التى يقيمها
النادى الأهلى فى دار الأوبرا الملكية ويتبرع له كل مرة لهذه
المناسبة بمبلغ كبير من المال

وهو بوصفه كشاف مصر الأعظم شديد الاهتمام بحركة
الكشافة فى مصر ، وليس أدل على مقدار تأييده لحركة المرشدات
من موافقته على أن تكون جلالة الملكة مرشدة مصر العظمى .



وفى الوقت الذى يكثر فيه الحديث عن مستقبل الطيران بعد
الحرب ويتوقع العارفون أن تصبح مصر بحكم إقليمها الجغرافى
ملتقى أكبر عدد من الخطوط الجوية — يسجل الكاتب مع
الارتياح أن جلالة الملك فاروق فى طليعة من يقدر الطيران وما
هو منتظر له من مستقبل باهر بعد الحرب . وكان الجنرال جايلز
القائد العام للقوات الأمريكية فى الشرق الأوسط يتحدث عن
جلالته يوماً فقال إنه لاحظ مع السرور أن الملك مشبع بالميل إلى

الطيران لأنه مما لا ريب فيه أن المستقبل للطيران فمن بواعث الارتياح أن يكون على رأس المملكة المصرية ملك هذا استعداده نحو الطيران

وفي أواخر صيف سنة ١٩٤٣ دعا الجنرال رويس القائد العام السابق للقوات الأميركية في الشرق الأوسط جلالة الملك إلى افتتاح المطار الذي أنشأه الأميركيون في ضواحي القاهرة فجاء أكبر مطار لهم في الشرق الأوسط ، ودعاه في الوقت نفسه إلى جولة جوية بالطائرة المعروفة باسم C 54 وهي أكبر طائرات النقل في السلاح الجوي الأمريكي ، وتفضل الملك فقبل الدعوة بشرطها وأتيح لى يومئذ أن أصحب جلالته في هذه الزيارة وفي الرحلة الجوية التي رحلها إلى الإسكندرية وقد تجأت فيها روحه الرياضية بأجلى مظاهرها

وصل جلالته إلى المطار وهو يسوق بنفسه السيارة العسكرية الأميركية الصغيرة « جيب » وكان الجنرال رويس قد أهداها إليه قبل ذلك بمدة قصيرة ، فأكبر الأميركيون الحاضرون هذه المجاملة من جانب جلالته وكانت موضع حديثهم ولما بلغ جلالته المكان الذي كان الجنرال رويس ينتظره فيه

مع أركان حربه والمستر كيرك وزير أميركا المفوض السابق في مصر ترجل من سيارته وصاحفهم جميعاً باسمًا وكان مرتدياً بذلة القائد الأعلى للسلاح الجوي المصري وبمعيته الفريق إبراهيم عطا الله باشا ياور جلالتة ورئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري ودعى جلالتة إلى الطائرة الكبيرة التي أعدت لرحلته إلى الاسكندرية فصعد إليها وطاق بأرجائها وشاهد محركاتها وأجزاء آلاتها واستمع إلى بيانات قائدها ، وقد ساعدته خبرته في شؤون المحركات ومطالعته عن كل ابتكار جديد في الطائرات على سرعة استيعابها والإحاطة بها ، فما كادت الطائرة تحلق في الفضاء حتى رأينا جلالتة يجلس في مكان القيادة ويقود الطائرة بنفسه بين إعجاب الضباط الأميركيين ودهشتهم وقد خلع جلالتة سترته لشدة الحر في ذلك الفصل من السنة وظل قابضاً على مفاتيح القيادة حتى الاسكندرية فحلت الطائرة فوق الميناء ثم فوق المدينة ثم اتجهت إلى قصر المنتزه فهبط جلالتة بها وطاق حول منطقة القصر غير مرة ، وكانت جلالة الملكة وصاحبات السمو الأميرات الكريكات يقضين فيه فصل الصيف ، وفي طريق العودة إلى القاهرة تولى جلالتة قيادة الطائرة كذلك وقد ازداد رجالها تقديراً

لمهارته وشجاعته لما علموا أن هذه هي أول مرة قاد فيها
جلالته طائرة

ولما انتهت الرحلة وعادت الطائرة إلى المطار خرج منها الملك
بادى النشاط والاعتباط ، فدعوه إلى مشاهدة طائرة أخرى قالوا
له إن فيها ابتكاراً جديداً، ولشد ما كان استغرابهم لما سمعوه يقول:
« لقد قرأت عن هذا الابتكار » ثم حدثهم عن تفاصيله حديث
الخبير بها

ودعا الجنرال رويس جلالته إلى جولة في المطار الجديد فأشار
الملك إلى سيارته الصغيرة وقال للجنرال رويس والمستر كيرك
والفريق عطا الله باشا « تعالوا معي » وصعد إلى السيارة وانطلق
بها وقد جلس الجنرال رويس إلى جانبه وجلس المستر كيرك
والفريق عطا الله باشا على المقعد الخلفي ، وكان هناك مئات من
العمال المصريين يعملون في منشآت المطار فلما لحوا جلالته عرفوه
فهتفوا له هتافاً عالياً فكان جلالته يرد لهم التحية بالتلويح بيده
باسماً شاكراً

ثم عاد الملك إلى مكان الطائرة فالتبس منه الجنرال رويس
أن يسمح للمصورين العسكريين بتصوير ضباط الطائرة مع

جلالته فسمح بذلك مبدئياً رغبته السامية في أن تشمل الصورة جميع رجال الطائرة من ضباط وضباط صف وجنود ، ثم صافح جلالته الجنرال رويس والمستر كيرك وقائد الطائرة ولوح لساير الحاضرين بيده وهو يطلق العنان لسيارته بيده الأخرى ، ولما ابتعد عن الأنظار التفت إلى الجنرال رويس وقال : « كلما ازددت معرفة بملككم ازددت إدراكاً لسر تعلقكم به هذا التعلق الشديد » وقال لى قائد الطائرة : « والذي أدهشنا في جلالته أنه ليس في كل مارآه شيء جديد عليه أو غريب عنه »

وكان الملك فاروق طريح الفراش في « القصاصين » يعاني آلام حادث السيارة الذي حدث له لما علم أن « عبد الفتاح عمر بك » البطل المصرى العالمى فى لعبة « سكواش راکت » وصل إلى مصر بعد الانتصارات الباهرة العظيمة التى أحرزها فى انجلترا على أبطال هذه اللعبة العالميين ، فأعرب جلالته عن رغبته فى رؤيته ، ولما استقبله هنأه بما وفق إليه ، وهنأه أكثر من ذلك بخلق الرياضى قائلاً إن تحلى الرياضى بالخلق الرياضى ليكريم يهمة أكثر من بطولته فى الرياضة نفسها ، واستبقاه

جلالته في حضرته زماناً طويلاً ليسمع منه تفاصيل انتصاراته الأخيرة ، وقبل أن يأذن له في الانصراف تفضل فأنعم عليه برتبة الباشوية تقديراً لبطولته ولما أسداه إلى سمعة مصر في الخارج بخلقه الرياضي القويم ، فكان هذا التكريم الذي حظى به عبد الفتاح عمرو باشا تكريماً لكل رياضي يفهم الرياضة بمعناها الصحيح

والواقع أنه إذا كان جلالته رياضياً كبيراً بضروب الرياضة التي يمارسها فهو كذلك رياضي كبير بروحه وخلقه كما يعرف عنه ذلك أصدقاؤه الخصوصيون ، وقد أتاحت ظروف هذه الحرب لكثيرين من الضباط البريطانيين والأميركيين أن يتشرفوا بمعرفته عن كثب في مناسبات بعيدة عن قيود التقاليد والمراسم الرسمية فاستهوتهم شخصيته بطابعها الإنساني العظيم ، وقد سمعت غير واحد منهم يقول إنه من بواعث الأسف الشديد أنه ليس متيسراً لكل واحد أن يحظى بمعرفة جلالته لما لسجاياه الشخصية من تأثير كبير في النفوس .

وقد شاهدت «القصاصين» صورة رائعة لخلق الرياضي ، فانه

لما نقل إلى المستشفى العسكري البريطاني على أثر حادث السيارة الذى حدث له ، أظهر جلدًا عظيمًا فى احتمال الآلام المبرحة التى كان يشعر بها فى تلك الساعة وطلب إلى أطباء المستشفى أن يبدأوا أولاً بإسعاف الذين كانوا فى معيته من رجال حاشيته

وأقام جلالاته ثلاثة أسابيع فى ذلك المستشفى العسكري فى وسط الصحراء فى حجرة من حجره العادية وقد أبت عليه روحه الرياضية أن يغير شيئاً من نظامها لأنه ملك ، بل أصر على أن يعامل كجندي ، كما أننا أراد أن يحيط بحياة الجندي من جميع نواحيها ، فنام على سرير « سفرى » واحتفظ بأثاث الحجرة كما كانت عليه عند وصوله إليها وأصدر أمره إلى رجاله ألا يجلبوا له شيئاً من القصر فحتى أغطية السرير ووسائده وملاءاته كانت من أغطية المستشفى ووسائده وملاءاته العادية المتواضعة

ولم ينقض على جلالاته فى « القصاصين » أيام حتى قال لى الميجر بيرد قائد المعسكر البريطانى : « إننا من جهة شديدو الأسف على الحادث الذى حدث لملككم ، ولكننا من جهة أخرى شديدو الاغتياب بالظرف الذى هياً لنا السبيل إلى التشرف بمعرفته عن

كشبه فعرفناه كما هو حقيقة ، فيجب على مصر أن تكون
نخجوراً بملكها »

وفي ليلة انتقال جلالته إلى القاهرة أنعم بنياشين ومداليات
شتى على رجال المعسكر وضباط المستشفى والمرضات والمرضين
الذين اشتركوا في علاجه وخدمته وأهدى إليهم هدايا شتى ،
فكان منظرهم وهم يحملونها شبيهاً « بشجرة عيد الميلاد » كما قال
الميجر بيرد

وكان على جلالته أن يستكمل علاجه بعد انتقاله إلى قصر عابدين ،
وهنا تجلت عظمة روحه الرياضية بأجل مظاهرها ، فقد قال جلالته
إنه ليس من الوفاء للمرضات اللواتي اعتنين به في « القصاصين »
أن يستوفى العلاج على أيدي غيرهن ، فرغب إلى السلطات
العسكرية البريطانية المختصة في أن تأذن لاثنتين منهن في الذهاب
معه إلى قصر عابدين وملازمته فيه المدة الباقية للعلاج ، فحققت
تلك السلطات رغبته السامية وقد وقع اختيار جلالته على
المرضتين اللتين كانتا تخدمانه « في القصاصين » في الليل لأنهما
تعبتا أكثر من سائر زميلاتهن

وكانت « المدلك » الذي يدلك الملك في أثناء إقامته

« بالقصاصين » أنباشى انجليزى فلم ينسه جلالته كذلك عند
 وانتقاله إلى قصر عابدين بل أخذه معه كما أخذ تينك المرضتين
 وقد أقام هذا الأنباشى الانجليزى فى قصر عابدين بملابسه
 العسكرية الانجليزية طول المدة التى اقتضاها استيفاء العلاج
 وكثيرا ما كان جلالة الملك يكاف أحد ياورانه دعوته إلى السينما
 ويضع إحدى سيارات القصر تحت تصرفه فى الذهاب والإياب
 وغنى عن البيان أن الملك كان يستطيع أن يجد فى القاهرة
 عشرات المرضات والمدلكين، ولكن روحه الرياضية العالية أبت
 عليه أن يتم شفاؤه فى قصر عابدين على غير أيدي الذين سهروا
 على خدمته فى وسط الصحراء !

الفصل الثامن

فاروق المعتز بمصريته
ومصر المعتزة بملكها

لو أراد أعظم المصورين أن يصور سعادة الملوك كما يتخيلها
لما استطاع أن يصورها بأروع مما عرفتها به تلك العبارة التي
ختم بها جلالة الملك فاروق إحدى رسائله إلى شعبه لي شكره على
مظاهر إخلاصه وولائه بمناسبة عيد ميلاده . قال جلالتة : « إن
الملك لا يستمد سعادته من انتشار ظله على الأرض ، ولكن
يستمد هذه السعادة من تمكين محبته في القلوب وإني لأحمد الله
أن وجدت في كل قلب من قلوبكم عرشاً أعز به وأفتديه
وكل من أتاحت له الظروف شرف معرفة الملك فاروق عن
كشيب أحس بشدة اعتزازه بمصريته وبكل ما هو مصرى وليس
مقدار ثقته بشعبه واعتداده به

أو تريد أن تدخل البهجة على قلب جلالتة ، وأن ترى
عينيه تبرقان فرحاً وزهواً . . . حدثه عن عمل حسن أو مشرف

عمله مصرى . . . مهما قل شأنه . . . تشعر من الانشراح الذى
يرتسم على أسارير وجهه بمبلغ سعادته وفخره

كان جلالاته يعانى فى « القصاصيين » من الألم ما يعانى حين
بلغه أنه لما زار الرئيس روزفلت والمستر تشرشل أبا الهول
والأهرام أبى الدليل المصرى الذى صحبهما فى جولتهما أن يتقاضى
أجراً على عمله ، فقال جلالاته على الفور : « حسن . هذا عمل
طيب » وأطرى مسلك الدليل إطراءً عظيماً وأمر بأن يرسل إليه
مبلغ من المال تقديراً منه لصنيعه

ودعا جلالاته مرة سمو الأمير بول ولى عهد اليونان وبعض
كبار الضيوف الأجانب إلى القصر الصغير الذى بناه فى المزارع
الملكية فى انشاص فأعجبوا بجماله وحسن تأثيثه وتنسيقه ، فقال
لهم جلالاته معترزاً : « إن الأيدى المصرية هى التى بنت أو صنعت
كل شئء ترونه هنا »

وعند جلالاته أنه إذا أتاحت للعامل المصرى ظروف العمل
فلا يستطيع عامل آخر أن يظهر عليه

ولما قال جلالاته عند زيارته للكاتدرائية الإنجليزية للمطران
جوين ولرئيس أساقفة يورك إنه سيهدى إلى الكاتدرائية أجزاء

النافذتين اللتين جاء ذكر حكايتهما في فصل سابق ، قال المطران جوين : « إني سأبرق حالاً إلى لندن لكي يصنعوا لنا هذه الأجزاء » فقال جلالته باسم : « إن هذه الأجزاء ستصنع بأيدٍ مصرية فتجىء هدية مصرية حقيقة » فضحك رئيس أساقفة يورك ، وقال : « إن جلالته على حق »

ولما اشترك جلالته في مباراة الرماية الدولية قال لرئيس الفريق المصرى : « إذا أحرزت رقماً يفوق الرقم الذى يحرزه أحد أعضاء الفريق المصرى فضعوا اسمى مكانه لكي يتحسن ترتيب فريقنا وإلا أغفلوا اسمى وخذوا أسماء المتفوقين منا » وكذلك لم يتجه تفكير جلالته إلى أن يقال إنه أحرز رقم كذا بل اتجه إلى ضرورة ظهور الفريق المصرى بمظهر مشرف ، ولذا طلب أن تدمج نتيجة مجهوده — فى حالة تفوقه — فى نتائج جهود غيره ما دام الغرض واحداً !

وقد تعدت أن أستشهد بهذه الحوادث الصغيرة لأنها مع بساطتها تدل دلالة واضحة على الروح التى تنال جلالته وعلى الشعور الذى يضطرم بين جنبيه ، فهو بحق المصرى الأول بشعوره ووجدانه قبل أن يكون المصرى الأول بتأجه وصوبلجانه

وهو في الوقت عينه أول من يقدر الأجنبي الذي يحب مصر
ويخلص لها على نحو ما رأينا في فصل سابق ، وإذا كنت أعود
إلى التنويه بذلك هنا فلكيلا يساء فهم ما قلته عن اعتداد
جلالته بمصريته ، وأظن أن الأجانب الذين يصطفهم جلالته
ويعرفهم بصداقته أول من يؤمن على هذا الكلام ، وهم كذلك
أول من يشهد بأن جلالته مستعد دائماً لأن يكون صديقاً لكل
من يشعر بأنه صديق لمصر ، ولا ينسى جلالته أصدقاءه الأجانب
عند ما يغادرون مصر بل يذكرهم على الدوام ويوالى السؤال
عنهم ، أذكر أنه كان جالساً مرة مع الكولونيل بتار — وهو
الذي كان ياوراً لدوق كنت شقيق ملك بريطانيا نحو اثنتي عشرة
سنة — فسمعتَه يسأله : « كيف حال الميجر فلان » فقال
الكولونيل بتار : « إنه بخير يا صاحب الجلالة وهو في لندن وقد
تلقيت منه كتاباً من أيام » فقال جلالته : « إني مسرور بأن أسمع
أنه على ما يرام فهو صديقي » وأظن أن كلمة « صديقي »
وحدها تغني عن كل تعليق !

وما كادوا ينعون إلى جلالته المستر برت فيش وزير أميركا
المفوض الأسبق في مصر ، وقد توفي في لشبونه ، حتى أمر بأن

يبرقوا إلى وزير مصر في البرتغال بأن يضع اكليلا من الزهر على
ضريحه باسم جلالته وقال حفظه الله « لقد كان المستر برت فيش
محباً لمصر وصديقاً لي وأنا فعلاً شديد الأسف على وفاته »

وكأنما أراد جلالته أن يكشف شباب مصر المتعلم بما يعلقه
عليه من آمال فأمر في شهر أغسطس سنة ١٩٤٣ بإقامة حفلة شاي
كبيرة في حدائق قصر عابدين تكريماً لأوائل الطلبة والطالبات
الذين أتموا دراستهم في ذلك العام في كليات الجامعة الأزهرية
وجامعتي فؤاد الأول وفاروق الأول وكليتي الحربية الملكية
والبوليس الملكية وجميع المعاهد العالية والفنية والمتوسطة بمختلف
أقسامها حتى بلغ عددهم نحو خمسمائة طالب وطالبة صافحهم
جلالته جميعاً واقفاً وقد افتر ثغره عن ابتسامة الرضاء والارتياح
ثم شرب جلالته الشاي معهم وكأنما كان هناك تيار خفي بينه
وبين ضيوفه فلم يحولوا أبصارهم عنه ولاحظ جلالته أنهم لا يأكلون
فأطال الوقوف وقال لبعض رجال الحاشية « اعزموا عليهم »
وقبل أن يبرح جلالته المكان عائداً إلى داخل القصر التفت
إلى ضيوفه وحياهم برفع يده الكريمة إلى رأسه غير مرة وما كادت

الموسيقى تفرغ من عزف السلام الملكي حتى كانت ديمقراطية
جلالته ومظاهر عطفه قد أنستهم أنهم في القصر الملكي فهتف
أحد الطلبة بحياة «الدكتور فاروق ملك مصر» فدوى المكان
بماصة من التصفيق وابتسم الملك وكرر التحية. وبينما كان جلالته
متجهاً إلى داخل القصر كانت الهمتاف يتكرر «ملك مصر
والسودان» و «ملك الشباب» و «الملك الصالح» و «المصري
الأول» فقد أراد الشباب المتعلم في تلك اللحظة أن يعرب لجلالته
عما يكنه له الشباب — قلب مصر النابض — من حب وولاء
وإخلاص فأرسل الهمتاف عالياً من قلوب مخلصة عامرة بالإيمان —
الإيمان بالله والملك والوطن

وعلى أثر ذلك تقدم معالي أحمد محمد حسنين باشا رئيس
الديوان العالي وتلا عليهم الرسالة الكريمة الموجهة إليهم من جلالة
الملك وقد استهلها جلالته بقوله :

«إني لأشعر بالغبطة تغمر نفسي إذ أراكم تحفون بعرشي ،
وتحيطون تاجي بهالة من علمكم وشبابكم ، وإن عرشاً وإن تاجاً
يحف بهما العلم والشباب لعرش وتاج جديران بمصر : مصر التي
كانت ومصر التي ستكون

« أما مصر التي كانت قد تولى التاريخ الكلام عنها والتغني
بمآثرها ، وأما مصر التي ستكون فأتتم المسؤولون عنها وإيها لأمانة
في أعناقكم فلا تجعلوا أنشودة التاريخ فيكم أقل روعة من
أنشودته في أجدادكم »

ثم قال جلالتة : « لقد أردت بهذا الاجتماع أن تلهسوا عن
قرب حبي لكم وتقديرى للعلم في أشخاصكم وأن تحيوا باسمى
زملاءكم الذين تواضع بهم حظهم فجاءوا بعدكم في ترتيب النجاح
وأن تبلغوهم اعتزازى بنجاحهم ونجاحكم فإن كل إجازة علمية
جديدة تعد نجماً ساطعاً في سماء بلادى

« أتم حملة المشاعل وكثيرون ينتظرون الضوء الذى تحملون
ليهدوا به إلى طريق الحياة فلا تطيلوا انتظارهم ، وانفعوا بعلمكم
وانتفعوا ، وليكن لكم من دينكم ووطنكم وإيمانكم وأمانتكم
حصانة تقيكم الزلل »

وختم جلالتة رسالته بقوله : « ارفعوا المشاعل فوق الطريق
ولا تجعلوها ناراً تحرق بل اجعلوها نوراً يضيء ، وعلى بركة الله
سيروا في طريقكم ، وهذه يدى فى أيديكم تساهم فى العمل معكم ،

يد قوية ، لا لأنها يد ملك ، ولا لأنها يد شاب ، ولكن لأنها
يد مصرى يؤمن بمصريته

« فلنؤمن جميعاً بمصر فإنها كنانة الله ولنعمل لها وسيرى الله
أعمالنا ويباركها »

وفي شهر رمضان المبارك من السنة عينها أمر جلالتة فأدبت
مأدبة إفطار كبيرة في قصر عابدين العامر لرؤساء طوائف العمال
وممثلي نقاباتهم وجمعياتهم إظهاراً للإيمانه بالذين تقوم على سواعدهم
مهضة مصر الصناعية ولكي يعلموا أن الملك يفتح أبواب قصره
ويرحب بكل مصرى يعمل في سبيل بلاده .

وتفضل جلالتة فطاف بهم مسلماً فقابلوه بأشد مظاهر
الإخلاص والولاء حماسة ، ولما أزف وقت الغروب وحل موعد
الإفطار أكل جلالتة من رغيف قدمه إليه أحد العمال فتعالى
هتافهم للملك نصير العمال

ولم يشأ جلالتة أن يحرم زملاؤهم بالاسكندرية من فيض
عطفه ورعايته فأمر بأن تؤدب لهم في قصر المنتزه العامر مأدبة
إفطار مماثلة للمأدبة التي أدبت بالقاهرة

إن هذه الرسالة ليست سيرة للفاروق بل مجموعة صور سريعة له في نواحيه المتعددة ، ولكنى لا أستطيع أن أختم هذه الرسالة من دون أن أُلَمِّع إلى أيام « القصاصين » وإلى اليوم الذى خرجت فيه القاهرة تحيي الملك باسم مصر كلها فرحة مبتهجة ، بعودته من « القصاصين » بعدما كتب الله له النجاة ومنَّ عليه بالشفاء . . . فقد كانت أيام « القصاصين » وحفاوة الشعب بالفاروق عند رجوعه من « القصاصين » مبايعة شعبية عامة تجلت فيها مكانة الملك فى النفوس بأروع مظاهرها وأجمل صورها

ففى مساء يوم ١٥ من نوفمبر سنة ١٩٤٣ أذيع أن الملك أصيب فى حادث سيارة بالقرب من « القصاصين » وهو فى طريقه إلى الإسماعيلية ليتفقد الإصلاحات التى أدخلت على يخته الجديد « فخر البحار » وأنه نقل إلى المستشفى العسكرى البريطانى فى « القصاصين » فارتفعت الدعوات الخالصات فى كل مكان ومن كل بيت بحمد الله وشكره على نجاة الملك وسؤاله أن يمن على جلالاته بالشفاء العاجل فاستجاب الله تعالى الدعاء وأكرم مصر والشرق العربى كله

وقد رأيت ميدان عابدين في مناسبات متعددة ولكنى لم أراه
كما رأيته في اليوم التالى ليوم الحادث فقد ظلت الجماهير تتدفق
عليه طول النهار تدفقاً لم تشاهد العين مثله حتى استحال الميدان
على سعة كتلة بشرية واحدة حجبت أرضه عن الأنظار ، ولما
ضاق الميدان بجموع الشعب انتشرت في الشوارع المؤدية إليه
والمفرعة عليه ، وهى تهتف للفاروق معقد آمال البلاد
وسمعت الشعب يهتف في عابدين غير مرة ولكنى لم أسمع
يهتف كما كان يهتف في ذلك اليوم .
كان هتافه مزيجاً من الدعاء والاغتياب والحماسة ، فكان هتافاً
ينفذ إلى القلوب قبل أن يصل إلى الآذان
وكان الشعب يعلم أن الملك ليس في القصر ومع ذلك كانت
الأبصار كلها متجهة إليه كأنما كان كل واحد يبصر جلالته واقفاً
في شرفته ، وهذا هو سر تعلق الشعب بالفاروق فان كل واحد
يشعر أن الملك معه ، وأن الملك يفكر فيه ، وأن الملك يشعر
شعوره . كل واحد يشعر أن الملك صديقه . كل واحد يشعر أن
هناك صلة روحية بين الملك وبينه . وهو شعور لم ينشأ في الشعب
عفواً بل نشأ فيه بعد الذى رآه من بر المليك به في كل مناسبة

وتفكيره الدائم فيه وحده على الفقير قبل الغنى وعلى الضعيف قبل القوى وعلى الصغير قبل الكبير .

أما في داخل القصر فكان زجاءً لم يعرف رجال المعية مثله فجاءوا بسبعة سجلات كبيرة ليكتب فيها الزائرون أسماءهم ومع ذلك كان التهافت عليها شديداً فقد سعى كل ذى حيلة ومقام ، مصرياً كان أم أجنبياً ، إلى بيت الملك ليغرب عن شعور ولائه وإخلاصه وكان الجميع يرددون أن الله لطف بمصر فحفظ لها فاروقها ولما أذيع أن جلالة الملك آثر البقاء في « القصاصيين » لم تلبث « القصاصيين » أن أصبحت مقصد جموع الشعب من جميع الطبقات قرأت كل يوم ألوفاً متعددة من الزوار على الرغم من بعد المكان ولا أريد هنا أن أتحدث عن وفود العظماء والكبراء الذين يمتلكون سيارات ، ولكني أريد أن أتحدث عن عشرات ألوف من الطلبة والعمال والزراع وصغار الموظفين وأبناء الطبقات المتوسطة ، وكانوا يذهبون إلى « القصاصيين » بسيارات كبيرة يستأجرونها لهذا الغرض ويحشرون أنفسهم فيها حشراً أو يسافرون إليها بسكة الحديد فيملأون القطر حتى إذا غصت بهم المركبات تسلقوا ظهر القطار وجلسوا عليه غير مباليين بالخطر الذي

يستهدفون له ما داموا ذاهبين إلى « القصاصين » ليطمئنوا
 إلى ملكهم المحبوب وليعربوا له عن شعائر ولائهم وإخلاصهم
 فإذا وصلوا إلى محطة « القصاصين » اتجهوا ماشين إلى مكان
 المستشفى والمسافة بينه وبين المحطة ذهاباً وإياباً لا تقل عن خمسة
 كيلومترات تحت وهج الشمس في صحراء جرداء ، فإذا بلغوا
 كان الزيارة اصطفاً فيه صفوفاً منتظمة ، وأوفدوا مندوبين
 عنهم لمقابلة بعض رجال الحاشية فيرفع هؤلاء رسالتهم إلى جلالة
 الملك المعظم ، ثم يعودون إليهم ويبلغونهم الشكر السامى
 ويطمئنونهم ويرجون منهم أن يطمئنوا إخوانهم الذين لم يجيئوا
 معهم ، فترتفع أصواتهم بالهتاف بحياة الملك الغالية ثم ينصرفون
 وهم يكررون الهتاف على طول الطريق . هؤلاء هم الذين أردت
 أن أنوه بزيارتهم « للقصاصين » تنهويها خاصاً

وكان الناس في المدن والقرى التى تمر بها القطر الذاهبة إلى
 « القصاصين » يقابلونها بالهتاف لجلالة الملك كأنما يحملون ركبها
 بحياتهم لجلالته

وكان العمال الذين يعملون في المعسكرات القريبة من المستشفى
 يستهلون النهار بقولهم : « صباح الخير يا فاروق » وهم واقفون في

اللوريات التي تقلهم إلى مقر عملهم ، وفي المساء يقولون وهم منصرفون
باللوريات عنها : « مساء الخير يا فاروق »

شعور شعبي عام لا يمكن كاتباً أن يفیه حقه من الوصف
فقد تجلی بصورة تسمو على كل وصف

وعاد هذا الشعور الشعبي فتجدد يوم الثلاثاء ٧ من ديسمبر
سنة ١٩٤٣ وهو اليوم الذي شرف فيه جلالته عاصمة ملكه من
« القصاصين » فانه ما كاد سكان القاهرة يطالعون في الصحف
قبل ذلك بيوم واحد أن الموكب الملكي سيجتاز العاصمة من
قصر القبة إلى قصر عابدين حتى ازدادوا فرحاً وابتهاجاً بهذه
الفرصة التي ستتيح لهم ، وهم يجتاون طلعة المليك السنية ، أن
يجددوا الإعراب عن شعور الغبطة الذي غمرهم لنبهة جلالته وأن
يظهروا لجلالته بهذه المناسبة ما تكنه له قلوب رعاياه من حب
وإخلاص وولاء

وعلى الرغم من ضيق الوقت أخذوا يتبارون في إقامة الزينات
وخصوصاً في الطريق الذي يجتازه الموكب الملكي فلم يأت المساء حتى
كانت أقواس النصر قد أقيمت في جهات متعددة وحتى كانت
الأعلام تنفق في كل مكان ، ومما استوقف النظر أن أصحاب

التاجر والمحال الأجنبية عدوا العيد عيدهم كذلك فرفعوا الأعلام
على متاجرهم ومحالهم مشاركة لمصر في فرحها وابتهاجها وإظهاراً
للجلالة ملكها المعظم من مكانة في نفوسهم

وعقدت الهيئات الشعبية اجتماعات سريعة وقررت ما تعمله
لتحية الملك في هذا اليوم الميمون الطالع ، وذلك وفاء لبعض
ما عليها لشخص جلالتة وهو الذي غمر طبقات الشعب في كل
مناسبة بفيض من عطفه وكرمه

وأبت هيئات العمال إلا أن يكون هذا اليوم عيداً شعبياً عاماً
يظهر فيه العمال ما تنطوى عليه قلوبهم لصاحب العرش العظيم
وكيف لا يجعله الشباب المتعلم من ناحيته عيداً شعبياً عاماً
كذلك والملك يمثل أمانى الشباب وآماله . أمانى مصر الغد وآمالها
بل كيف لا يجعله الشعب كله عيداً شعبياً عاماً وقد كان
الملك في كل وقت مع الشعب وللشعب فأضحى محط رجائه
ومعقد آماله

واستيقظت القاهرة في صباح يوم الثلاثاء ٧ من ديسمبر لتشهد
ما لم يسبق أن شهدته من الزينات الجميلة وأقواس النصر العظيمة
من قصر القبة إلى قصر عابدين ، وكذلك لم تشهد عاصمة المملكة

مثل ما شهدت في ذلك اليوم من احتشاد مئات الألوف في طريق الموكب الملكي حتى ضاقت بهم الطرق والميادين الفسيحة فتسلق كثيرون منهم الأشجار والمرتفعات ليتسنى لهم رؤية المليك المحبوب وامتلاأت شرفات المنازل والنوافذ بالسيدات والآنسات على طول طريق الموكب الملكي وأعد أصحاب القهوات والفنادق أما كن لجلوس المتزاحمين للترحيب بالفاروق

وفي نحو الساعة الواحدة بعد الظهر تحرك الركاب العالى من قصر القبة ، وكان جلالة الملك يرتدياً بذلة القائد الأعلى للجيش المصرى ، وما كاد جلالاته يلمح طلائع شعبه حتى نسي ألمه ونصح الأطباء له فنهض وأخذ يرد لشعبه الوفى التحية برفع يده إلى رأسه تارة وبالتلويح تارة أخرى وهو واقف فى سيارته وقفته العسكرية المعروفة وقد تجلت على وجهه المشرق أمارات الغبطة والانشراح واستمر جلالاته يحيى شعبه كذلك من حدائق القبة حتى

ساحة قصر عابدين الداخلية

وكانت الجماهير إذا أبصرت جلالاته انفجرت حماسها فتدوى الهتافات وتلتهب الأكف بالتصفيق وتعلو زغاريد النساء على أنغام الجوقات الموسيقية ، وقد ألفت كثيرات منهن الأزهار

والرياحين في طريق الموكب الملكي من شرفات المنازل والدور
ولأول مرة رُئي مئات من الأطفال يلوحون للملكهم المحبوب
بأعلام مصرية صغيرة .

واصطف تلاميذ المدارس القائمة في طريق الموكب الملكي
على جانبي الطريق واشتركوا في تحية جلالته

ولما وصل الركب الملكي إلى ميدان المحطة لم يكن هناك متسع
لقدم فتسلق الناس مركبات المترو والترام لكي لا يفوتهم اجتلاء
طلعة الملك المفدى

أما فندقا شبرد والكوتنتنتال فكانا عبارة عن كتلة بشرية
يرى المرء أولها ولا يلمح آخرها

وأما ميدان الأوبرا فبدأ بصورة يعجز القلم عن تصويرها
حتى إذا وصل الموكب الملكي إلى ميدان عابدين خيل إلى المرء
أنه أمام بحر زاخر من الخلق وما كادت الجماهير تبصر الملك
واقفاً في سيارته حتى تأججت نار حماسها فاذا الميدان يتحول
إلى عاصفة من التصفيق والهتاف

وبينا كانت السيارة الملكية تجتاز باب القصر التفت

جلالة الملك إلى رئيس ديوانه وقال : كم كنت أود لو استطعت
أن أصافح كل فرد منهم

وبعد أيام وجه جلالتة إلى شعبه الوفي رسالة كريمة استهلها
بشكر الله تعالى على رحمته ونعمائه ثم قال :

« وأنتم يا أبناء شعبي لكم بعد الله حمدي وحيي ، فإن
ما أحسست من وفائكم وولائكم أنساني ألمي وضمد جرحي وجعل
صحرائي جنة وارفة الظلال

« ولقد تعودت في صحتي أن أطوف ببلادي لأن هذا واجب
الملك وما تصورت في مرضي أن تطوف بي البلاد هكذا مستفسرة
عن صحة مليكها — بل ابنها . فما أنجب وطنًا أنتم أبناؤه ، وما
أسعد ملكًا أنتم رعيته

« إن الحادث الذي وقع علي أن تعلق بكم لا يعدله
تعلقكم بي ، ولقد كنت أشعر أنكم تحبونني لأنني أحبكم
فوددت ألا يذاع النبأ حتى لا تجزعوا ولسكنكم سرعان ما علمتم
بما حدث لي ، وسرعان ما علمت بما حدث لكم وما حدث منكم
« ثم عدت إلى عاصمة ملكي فرأيت ما وددت معه لو
استحالت أنفاسي ونظراتي كلمات شكر فإنها وحدها تستطيع

تصوير ما ارتسم في ذهني وخاطري من معنى وشعور
 « إن من أجهل أمانى الإنسان أن يرى من يحبه ولقد رأيتم ،
 رأيتم مصر كلها فيكم ، وأحسست صدى ما تشعرون به يحيش
 في جوانحي خفقاً وفي خاطري أملاً وفي قلبي إيماناً بكم
 » يا أبناء شعبي . إني ملككم أملك أن أحبكم . ولكنى
 لا أملك شكركم »

فهنيئاً لبلاد بملك هذا هو شعوره نحو شعبها !
 وهنيئاً لملك ببلاد هذا هو شعور شعبها نحوه !

فهرس الموضوعات

الفصل الأول : كيف تشرفت بمعرفة جلالة الملك ؟

(وهو يكشف عن ديمقراطية صاحبي الجلالة الملكية . ويشرح الفرصة التي أتاحت للمؤلف في الأقصر شرف التعرف بجلالتهما)

الفصل الثاني : رحلات جلالته الصحراوية :

(وهو يكشف عن سعى جلالة الملك إلى المناطق النائية من بلاده للتعرف عليها . وتكشف جلالته وديمقراطيته واهتمامه بطبيعة الصحراء وما ينبت فيها)

الفصل الثالث : كثرة معلومات جلالته وحبه

للاطلاع والقراءة :

(وهو يدور حول كثرة اطلاع جلالته وحبه الكثير للقراءة . واهتمامه بكل ما ينمى معلوماته . وبشراء طوابع البريد ومجموعات المدايات والنقود . والحصول على كل ما يفيد مصر من الوجهة العلمية والتاريخية)

الفصل الرابع : ديمقراطية جلالته :

(وهو يبحث في جولات جلالته وزياراته غير الرسمية وغشيانه بعض الأندية بمفرده أو مع أحد رجال حاشيته وتبسطه في الجلوس والحديث بدون كلفة)

الفصل الخامس : في غيرة جلالته على الدين :

(وهو يبحث في احترام جلالته للدين وحرصه على التقاليد الدينية ، وخروج جلالته لصلاة الجمعة ونسجه على منوال جده الأكبر والمغفور له والده العظيم في التسامح الديني وعدم التفريق بين الأديان)

الفصل السادس : في عطف جلالته على الطبقات

العاملة والصغيرة والمحرومة :

(وهو يبحث في حب جلالته للفقراء منذ صغره وحده عليهم في كل المناسبات وخاصة في أعياد جلالته وفي شهر رمضان ، واهتمامه بأمر تموينهم وحضور جلسة مجلس الوزراء لهذا الغرض . وسفـره إلى أعلى الصعيد لمواساة منكوبي الملايا)

١٠٠ الفصل السابع : الملك الرياضى :

وفيه (يتحدث المؤلف عن روح جلالة الرياضية
وحبه للرياضة وعنايته بالقائمين بها وتكريمهم
وأثر ذلك فى النهضة الرياضية فى البلاد)

١١٦ الفصل الثامن : فاروق المعتز بمصريته . ومصر المعتزة به :

(وهو يدور حول حب جلالة الملك لبلاده
واعترازه بكل ما هو مصرى . والتفاف
الشعب حول مليكه واعترازه به وتجلية ذلك
فى حادث القصاصين من بدئه إلى نهايته)

أقرا

سلسلة كتب شهرية لاجيب يسترك في تأليفها
أشهر الكتاب في مصر وسائر البلاد العربية
تصدرها مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

آراء بعض كبار الأدباء

- « مشروع جميل القدر كبير الفائدة عظيم الأثر في
تغذية الأدب والثقافة » ...
- « زار فكري في مختلف أبواب العلم والأدب يستيفه
الجمهور وترضى عنه الخاصة » ...
- « لهذه السلسلة جهد في سبيل نشر الثقافة وترقية
الشعب وإزالة الفروق بين الطبقات » ...

التمن بالنسخة

مصر	• • مليا	سوريا ولبنان	٦٠ غرشا
السودان	• • مليا	العراق	٦٠ فلما
	فلسطين وشرق الأردن	٦٠ ملا	

